مجلة الأصالة للدراسات والبحوث
Al Assala Journal for studies & Researches
مجلد 03 عدد 06 سنة 2021
ISSN 2710-8538

الإستراتيجية العسكريّة المباشرة لتثبيت الحكم العثماني بالجزائر. (926- 1246هـ / 1519-1830م.)

The Direct military strategy to stabilize Ottoman rule in Algeria (926- 1246$^{A.H}$/ 1519-1830$^{A.D}$)

حبيبة عليليش*
جامعة الجزائر -02-
aliliche.hab@gmail.com

تاريخ إرسال المقال:25/ 12/ 2021 **تاريخ نشر المقال: 31/ 12/ 2021**

الملخص:

كان ولازال المؤرخون يثيرون الكثير من القضايا عن حقيقة الوجود العثمانيّ بالجزائر، ولعلّ القضية الأكثر إثارة للنّقاش والجدل تتمحور أساسا حول الآليات التي استطاعت بواسطتها تلك الأقلية العثمانيّة إحكام تثبيت جذور حكمها بالجزائر، لا سيّما أنّ حكم هذه الأقليّة هيمن في الجزائر محتلا بذلك حدودا زمانيّة طويلة و مكانيّة واسعة، إذ عمّر سلطانه لأزيد من ثلاثة قرون، وامتدّ نفوذه حتى مداخل الصحراء.

علما أنّ العثمانيّين ولتثبيت حكمهم بأرض الجزائر، قد طبقوا و انتهجوا عدة آليات مسّت جلّ الجوانب سواء العسكريّة منها أم السّياسيّة أم الإداريّة أم الاقتصاديّة أم الاجتماعيّة. إلّا أنّنا سنحاول في هذا المقال تسليط الضّوء على الإستراتيجية العسكريّة المباشرة التي جسّدت هذا الهدف، و كذا أهمّ الخطط والوسائل التي سُخرت لإنجاح هذا المشروع، وسنرفق بمشيئة الله الإستراتيجية العسكريّة غير المباشرة في الجزء الثّاني من هذا المقال.

الكلمات المفتاحية:

الجزائر؛ الفترة العثمانية؛ الإستراتيجية العسكرية المباشرة، الحكم في الجزائر.

Abstract:

Many historians were and still raising a lots of issues about the reality of the ottoman presence in Algeria, maybe one of the most controversial issue involves mainly the mechanisms with which the ottoman minority was able to stabilize its rule in Algeria .Especially that the rule of this minority dominated Algeria occupying a wide area for a considerable period of time which lasted more than three centuries and extended till the start of the desert areas of the country.

* **المؤلف المراسل: حبيبة عليليش،** aliliche.hab@gmail.com

Bearing in mind that ottomans have applied and adopted several mechanisms in almost all aspects including the military mechanism, political, administrative, economic and the social one ,in order to establish their rule in the territory of Algeria .In this article, however, we will try to highlight the direct military strategy which reflects the aim of this project and we will shed light on the most crucial plans that made it work .we will ,of course, deal with the indirect military strategy in the second part of this article -God willing.

Keywords:

Algeria ; Ottoman period; The Direct military strategy; rule in Algeria.

المقدمة:

إنّ تثبيت أي حكم أو نظام يقتضي استعمال القوة والعقاب وهو أسلوب قديم جدا، وقد أثبت نجاعته في الكثير من المرّات، فمثلما تُستعمل السّياسة لارتكاز سلطة معينة لابدّ أن تستعمل معها أيضا القوة العسكرية، لأنّ طبيعة الكثير من المجتمعات تفرض استعمال القوة لضمان خضوعها لقوانين هذه الدّولة، ومما لاشك فيه أن الدولة التي لا تُعِدّ عدّة جيشها، رغم توافر القيم فيها- تبقى مستقبلاً عرضة للأخطار المحدقة بها وغير قادرة على تأمين استمرارية حكمها، ولذا نجد أنّ الحكومة العثمانيّة في الجزائر، قد نوعت في استراتيجياتها العسكرية سواء ما كان مباشرا أو غير مباشرة هادفة بذلك تثبيت وجودها وإطالة عمر حياة حكمها. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا فيما تمثلت وسائل تحقيق الإستراتيجية العسكرية المباشرة المتَّبعة من طرف العثمانيين والتي جعلت الحكم العثماني يستقرّ بالجزائر لأزيد من ثلاثة قرون، ويمتد حتى مداخل الصحراء؟.

قبل أن نتطرق إلى هذه الوسائل أو الآليات، يجب أن نؤكد أنّ القوة العسكريّة المعروفة بالاوجاق[1] كانت هي العمود الفقري لنظام الحكم في الجزائر العثمانية، و تكونت جماعات الجند هذه من قسمين: الرياس وهم الجنود العاملون في البحر، واليولداش وهم الجنود المستقرون بالبلاد، وكان هؤلاء العسكر أو الجيش يمتلك السّلطة العليا بايالة الجزائر، فهو من يُقيل الحكام ويعيّن آخرين مكانهم حسب رغبته[2]، هذا وان قادة الجيش برتبة بولكباشي هم الذين يكونون الديوان، وعددهم في هذه الهيئة ستون بولكباشيا، يجتمعون صبحية كل يوم في محل مخصّص لمداولاتهم للاطلاع على الأعمال الإدارية، أي لمراقبة الحكومة بمقتضى السلطات المخولة لهم، بصفتهم هيئة عليا تتكون من قواد الجيش، ولا يحصل الحاكم على مرتبه إلا من عندهم وبحضورهم، وحتى عندما يبعث الباب العالي بالقفطان والفرمان، فإنهم هم الذين يقومون بعملية الانتخاب ويعينون العاهل لمبعوث الباب، الذي يحمل تعيين من تم تعينه بعد أو لا، ومن شروط عضوية أعضاء الديوان هي أن يكون العضو قد عمل في جيش البرية أو البحرية[3].

والجدير بالذكر أن الجيش إحتفظ بكيانه بتجنيد الجنود من الشّرق، إذ كانت حكومة الجزائر تحتفظ بوكلاء لها في استانبول وفي أزمير[4]، فقد كان يحق لحاكم ايالة الجزائر أن يرسل مبعوثين[5]، - ويطلق عليهم اسم باش داي إلى هاتين المدينتين لتجنيد الشّباب، واستئجار السّفن لنقلهم إلى الجزائر تحت اسم الانكشارية أو اليولداش، ونظرا للمزيا المغرية التي كانت تمنح لكل جندي عثماني وافد إلى الجزائر فإنّ الهجرة إليها كانت تجذبهم بقوة منذ البداية إذ كان بإمكان كل جندي عثماني أن يتقلد جميع المناصب والوظائف، وصولا حتى منصب الحاكم. [6] .

فمن خلال كل ما تقدّم نلاحظ مدى سلطة العسكر في حكم ايالة الجزائر، وأنّ حكومة هذه الأخيرة عسكريّة أكثر منها حكومة مدنيّة، أي أنّ القرار الأوّل في هذه الدّولة بيد العسكر، ومن المعلوم أنّ هذه الأولى تعتمد في تسيير شؤونها على العسكر أي على قوة السّلاح، لذلك كان من الطّبيعي أن تستعمل هذه الحكومة لأدوات العسكر في تثبيت حكمها،

غير أنّنا نعلم أنّ الدّولة العثمانية هي دولة إسلاميّة، لذلك يمكن أن نشير إلى أنّ نظام الحكم العثماني بالجزائر حتى وإن كان عسكريا بالدرجة الأولى فالذي لا خلاف فيه أنّ الدّين لعب دوره في تليينه نوعا ما.

1- الحملات العسكرية.

1-1 - حملات الضّم والإلحاق

بعد أن رُفعت راية الدّولة العثمانيّة على الجزائر، وتحولّت هذه الأخيرة إلى ايالة عثمانيّة، وعُيّن خير الدّين بيلرباي على هذه الايالة، عمل العثمانيون على توسيع نفوذهم بالجزائر، ولتثبيت هذا النّفوذ وتركيز البناء العثماني كان لابدّ على خير الدّين أوّلا جمع شتات هذه البلاد، وتوحيد مناطقها ومجموعاتها المنفصلة وإخضِاعها لسلطته، فكان من الصعب أن تقبل القوى المحليّة في مناطقها الخضوع للحكم الجديد فلجأ خير الدّين بربروس إلى المواجهة المسلحة ومقاومة النّزاعات الاستقلالية، فتشكّلت بذلك سلطة الايالة حول البيلرباي، وارتكزت على قوة سلاح الانكشاريّة، ففي العهود الأولى ارتكزت فيها أسس ودعائم الحكم العثماني في الجزائر بمتانة الروابط بين الولاية ومركزها، وإنّ الرجال العثمانيين سواء من الرياس أم الانكشارية كانوا أحسن المدافعين عن النّفوذ العثماني، حيث قاد خير الدين بربروس ومن تبعه من البيلربايات أمثال حسن أغا، وحسن باشا، وصالح رايس وغيرهم، بكلّ بسالة الحملات المتتالية ضدّ القبائل العتيدة في الصّحاري وعلى المرتفعات وضدّ الحفصيين وحلفائهم الإسبان،... [7]، حتى نجحوا بضمّ عدّة نواحي، بداية بناحية التيطري فولّوا هناك بايا وسموه باي البايات، ثم ضمّوا ناحية الغرب "تلمسان"وأحوازها ومعسكر ونواحيها، والقلعة، ومستغانم وما جاورها، وبعدها ضموا النّاحية الشّرقية[8]، وما أن أوشك القرن السّادس عشر على نهايته حتى تثبت النّفوذ العثماني، وتركّز نهائيّا في بلاد الجزائر[9]، وكان للقوة العسكريّة دور كبير في ذلك.

وفي هذا السّياق لا يفوتنا أن نذكر على سبيل المثال، ما قام به هؤلاء الرّجال العثمانيون لضمّ وإلحاق الأمصار الجزائريّة إلى سلطتهم بحدّ السيف وقوة الحملات العسكريّة، فحسن أغا مثلا قد مدّ نفوذ العثمانيين وسلطتهم إلى بسكرة، فدخلت إثرها الزيبان تحت سلطته، وبهذا وسَّع نطاق حكم العثمانيين وعزّزها على باقي المنطقة الشّرقية، وصالح ريس هو الآخر لما تولى منصب البيلرباي، قام في عام 1552م بغزو الجنوب القسنطيني، وسيطر على ورقلة، وتقرت، وقضى على إمارة بني جلاب في تقرت، كما قام بضم تلمسان إلى سلطة العثمانيين بعدما تخلّص من بقايا الزيانيين، فانتهت بذلك دولة بني زيان بصفة نهائية عام 1554م[10].

هذا وقد أكمل رجالات هذه الدّولة ما بدأه هؤلاء الأوائل في ضمّ الأقطار الجزائرية، وإلحاقها للسلطة المركزية، زد على أنهم قد حرصوا على إخضاع كل مناطق الجنوب خاصّة عندما لاحظوا أنّ هذه الأخيرة لم تنلها أيادي السّلطة ولنضرب مثل ما قام به صالح باي، إذ زحف على نواحي الصّحراء بالشّمال، وألحقهم ووحّد القطاع الشّرقي ككلّ تحت الحكم العثماني، كمساهمة منه في توحيد القطر الجزائري توحيدًا كاملاً ولوقايته من الانقسامات[11]،

وللغرض نفسه فان محمد الكبير فاتح وهران، كان كثيرًا ما يشنّ الحملات على أهل الصّحراء لإلحاقها وإخضاعها، فهو الذي ضمّ إلى حظيرة السّلطة العثمانيّة بالجزائر "أهل بني الاغواط"، والشلالتين وعين ماضي وميزابا وأبا الضّروس، كما نزل شراعة وهمّ بضم بني يزناسن، وأبي عروس، وتوغّل في الصّحراء حتى وصل إلى المواضع التي صعُبت على غيره من الحكام الوصول إليها[12] ، وفرض على سكانها الضّرائب إعلانا عن خضوعهم وخنوعهم [13]، ومنه يتّضح أنّ سياسة الإلحاق كانت بأهداف وخطط دقيقة عرفت السّلطة العثمانية كيف تستغلها لصالحها.

1-2- حملات الإخضاع والتأديب:

عرفت الإيّالة الجزائريّة بعد إلحاقها وإعلان سكانها قبولهم بحكم العثمانيين عدة تمرّدات وحركات عصيان، وحتى ثورات ضدّ أساليب أو أنظمة أو حتى على حكم العثمانيين نفسه، وهنا يجب أن نشير إلى أنّ سكان الرّيف الذين يعيشون ضمن أطر القبيلة كانوا يحملون في قلوبهم شعورا قويّا إلى الاستقلال لا يمكن قهره بحال من الأحوال [14]، على عكس سكان المدن، والواضح أنّ هذا ما دفع بالسّلطة العثمانية إلى اللّجوء إلى شنّ حملات الإخضاع ضدّ هذه القبائل التي كثيرا ما أعلنت تمرّدها أو ثارت على الحكم العثماني، هذا وإنّ هذه الحملات بدأت منذ بداية الوجود العثماني بالجزائر ونتج عنها القضاء على الكثير من الثّورات التي قامت بين السّكان باستعمال القوة العسكرية.

ففي هذا الإطار قام خير الدين بحملة على ثورة محمد علي القائد المتمرد الذي تحالف مع السلطان الزياني أبي حمو الثاني ضد الوجود العثماني في الجزائر، والمصير نفسه لقيه ابن القاضي الذي حرّضه السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد الحفصي ضد العثمانيين، علما أنّ هذين التّحريضين قد جاءا في الوقت نفسه، وباتّفاق بين السّلطان الحفصي والسّلطان الزياني، لكنَّ خير الدين بربروس كان لهما بالمرصاد [15]. وبالرغم من هذا لم يستقر البيت الزياني من إعلانه لتمرداته، فعقب الحملة الاسبانية الناجحة على ميناء هنيين بالقرب من تلمسان سنة 1531م، أعلن السلطان الزياني عبد الله تمرده، إلا أنّ السلطة العثمانية لم تسكت على فعلته هذه، إذ توجه خير الدين إليه على رأس حملة تأديبية، فلم يجد صعوبة في القضاء على حركة التّمرّد هذه والقبض على هذا الأمير[16].

وعلى السبيل ذاته، سار الحكام الآخرون لإخضاع السّكان المحليين، وذلك باعتمادهم على شنّ الحملات العسكرية، ففي حوالي سنة 1772م، تمرّدت قبائل أولاد نايل القاطنة بين الجلفة وبوسعادة، على الداي، فوجه ضدّهم حملة عسكرية قوية قادها صالح باي قسنطينة، فاقتحم بها الجلفة، وبوسعادة، حتى أذعنوا وفرض عليهم جملة من الضّرائب [17]، إضافة إلى هذا، فانّ الأغوات والقياد هم بدورهم قد ساروا على النهج نفسه في المناطق التي حكموها،

فأغا "السباهي" مثلا كان هو المسؤول عن إدارة السّكان المحليين، وقائد الفرسان هو من كان يأخذ عادة قيادة البعثات الموجّهة ضدّ السّكان المتمرّدين [18]، والقبائل العاصيّة لإخضاعهم لسلطة حاكم الإيّالة.

وفي هذا السياق فإنّ معظم الجبال الواقعة أسفل سهل خيرون كانت مأهولة بقبائل مستقلة عن حكومة مدينة الجزائر، وقد كانت لا تجنح للسّلم طواعية أبدا كقبائل الزواوة وفليسة، غير أنّ السّلطة لم تبق مكتوفة اليدين من موقفهم هذا، بل اتخذت عدة مواقف ضدّهم، فقبائل الزواوة -التي كانت تتكون مما يقارب ثلاثمائة قرية- كانت تجمعهم ميزة وهي عدم دفعهم الإتاوة ولا ضريبة الرؤوس للحكومة العثمانية، وكانوا يتَّحِدون ضدّ عدوهم المشترك والممثل في السلطة العثمانية في حرب لا هوادة فيها [19].

فلهذا شنّت السّلطة ضدهم عديد الحملات العسكرية، كحملة سنة 1158ه/ 1745م والتي جاءت بعد قيام ثورة بإعاز منهم والتي سمتها المصادر بثورة الزواوة تمرّدا على محمد الفريرا الملقب بالذباح قائد ساباو آنذاك، فبعث هذا القائد إلى حاكم الإيّالة إبراهيم باشا طالبا المساندة، فأمدّه هذا الأخير بقوة عسكريّة تعدادها مئتي يلداش يترأسها أغا الصبايحية، فكانت هذه الحملة سببا في فشل هذه الثورة وتأديب القبائل فقُتلوا ونُهبت أمتعتهم وأموالهم وحُرقت دشورهم [20] ، فأُنزل بذلك على قبائل هذه المنطقة عقابا وحشيّا لإخضاعهم.

أمّا عن قبائل فليسة، فبعدما قامت بقتل آغاتها عين الداي بابا علي إحدى الشواش واسمه محمد بابا وقال له"أنا ناديتك لكي تصبح أغا لكن أنت مسؤول عن الحماية في المستقبل"، ولهذا السبب فقد ضيَّق هذا الأخير على دلس وأمر بإرسال حملة عسكرية من أجل استمرار الحرب ضدّ كل قبائل هذه المنطقة وإخضاعها [21] ، والواضح أن التضييق العسكري الكبير على القبائل كثيرة التّمرد كان له الدور الفعال في إعلانها الولاء غصبا عنها للسّلطة العثمانية، وكذا استمرار هذه السّلطة عليهم.

ومثلما قاد حكام الايّالة وقاداتها حملات عسكرية ضدّ السّكان لإخضاعهم، قام البايات بالأمر نفسه إذ نظموا حملات تأديبية ضدّ القبائل الممتنعة عن سلطتهم في بايليكهم [22]، ونضرب مثلا صالح باي بايلك الشرق الذي شنّ حملات تأديبية ضدّ القبائل المتمردة والممتنعة عن سلطته أو سلطة حاكم الإيّالة، ففي عام 1773م غزى أولاد عمور واقتحم قرى زخينة، وآفلوا، والأغواط، والنهبلة وعاقب العصاة ضد الداي، وقتل مئة رجل منهم وأرسل رؤوسهم إلى قسنطينة، لتعلّق على الجدران والأبواب وبعدها بثلاث سنوات أي في سنة 1776م هاجم هذا الباي أيضا أولاد بن عاشور فرجيوة، وكرّر هجماته ضدّهم لغاية عام 1781م بسبب عصيانهم وامتناعهم عن الاعتراف بسلطة البايلك، ودفع الضرائب فكان لجهوده العسكرية هذه أثارا حميدة، إذ ركن الجميع إلى الهدوء والخنوع لسنوات طويلة. أمّا في عام 1788م فقد قاد الباي نفسه حملة كبيرة على الجنوب الصحراوي القسنطيني لمعاقبة شيخ الدواودة محمد الدباح، وشيخ تقرت فرحات بن جلاب لرفضهما دفع الضرائب، وفي أثناء طريقه إلى تقرت مرّ على واحات طولقة، وبوشقرون، ولبشانه، والزعاطشة، وسيدي خليل (سيدي خالد) بوادي جدى، ودفع له سكانها الضرائب المطلوبة، ومن هناك واصل طريقه إلى

الزيبان ووادي ريغ، وفرض الحصار على تقرت حوالي سبعين يوما حتى أرغم شيخها على الاستسلام، وفتح أبواب المدينة له وقبل دفع الضرائب المطلوبة منه وغرامة الحملة، وخسائرها وأتعابها. هذا وتعدّدت أيضا حملات هذا الباي على الجنوب أربع مرات، واستعمل خلالها القوة والدبلوماسية ليستميل إليه رجال الصّفين بن قانة وأولاد بوعكاز [23] ، فالواضح أن سبل الإخضاع بقدر ما تعدّدت، فإنّ الأسلوب التّقليدي المتمثل في الحملات العسكرية قد اعتمده هذا الباي بنسبة أكبر، وهذا يثبت أنّ السّلطة العثمانية في الجزائر وحتى تسيطر على القبائل المحلية قد لجأت إلى أسلوب القوة والترهيب. والملاحظ أيضا أنّ هذه السلطة كانت كلّما فشلت حملة ترسل أخرى دون كلل أو ملل وهذا كلّه لأجل إثبات حكمها.

وهنا يجب أن نذكر، أنّ العثمانيين مثلما شنوا الحملات على المتمردين من القبائل قد أخضعوا وقضوا على الكثير من الثّورات التي قامت بين السّكان بحد السّيف في حملات قويّة، ويمكن أن نذكر بعض الأمثلة عن هذه الثّورات التي تمّ إخماد نيرانها بقوة العسكر، ففي فترة حكم عبد الله باي – الذي حكم بايلك الشرق ما بين 1804-1806م- حينما خرج من الجزائر ذهب إلى قسنطينة فبمجرد ما وصل إلى هذه الأخيرة، حتى وجد السّكان ثاروا، وعلى رأسهم الشريف ابن الاحرش فتحوّل هذا الباي من القبايل إلى عامر نواحي سطيف فقاتلهم وأخذ أموالهم، وقطع رؤوسا كثيرة منهم، ومن شدّة هول ذلك هرب الشّريف، ولم يتوقف عبد الله باي عن شنّ الحملات المتتالية حتى أذعنوا له [24]، ولحكم العثمانيين.

والأمر نفسه قام به الباي محمد بن عثمان، المعروف بمحمد الصغير باي بايلك الغرب مابين 1808 و1813م، ضد نفس االثائر الأول -الدرقاوي-، فرغم كثرة المعارك التي دارت بين أتباع هذا الأخير وقوات العثمانيين، إلا أنها انتهت بفشل الدرقاوي، وفوز القوات العثمانية بزعامة محمد الصغير [25]، الذي اشتهر بكفاءته وتنظيم جيشه [26] ، فبفضل هذا الأخير تمكن من القضاء على ثورة الدرقاويين، ولكي يتخلص هذا الباي من تداعيات هذه الثورة اتّبع سياسة القتل والتّنكيل بكلّ فرد يشكّ في انتمائه إلى الدرقاويين، وبسياسته هذه استطاع إخضاع الكثير من القبائل كقبائل الحشم ببلاد غريس بالغرب الجزائري وقبائل عريب [27]، فهذه الأخيرة -الواقعة بين حمزة والدهوس، وبالضّبط في السّفوح الجنوبية لجبال جرجرة حول برج حمزة، والتي كانت تابعة أو تحت إدارة أغا الجزائر-، قام شيخها بالتمرد على هذا الأغا الذي سارع وأخبر حاكم الإيّالة، فلم يجد هذا الأخير من يخضعهم إلا باي الغرب بوكابوس المتقدّم لقوة عسكره وأتباعه، وفعلا سار هذا الباي وقواته، وقام بإخضاع هذه القبيلة بحدّ السّيف، وقوة السّلاح لسلطة الحكومة العثمانية [28]، فهذا ربّما يدلّ على أنّ القبائل كثيرا ما كانت تحاول الاستقلال عن سلطة العثمانيين بينما هذه الأخيرة تكون لها بالمرصاد، وأيضا نلاحظ أنّ النّظام القبلي بقي دائما سائرا والسّلطة داخل القبيلة بيد الشيخ وليس بيد العثمانيين الذين كانت سلطتهم تتمثل في السيطرة بشكل عام، ولا تتدخل في شؤون القبيلة الدّاخليّة. والمهم عندها التبعية الرسمية للعثمانيين.

والجدير بالذكر أنّ العثمانيين ولفرض احترام سلطتهم حكموا بيد من حديد خاصة أواخر حكمهم، فمعظم التّمردات والثورات، التي عرفتها الإيّالة في الفترة الأخيرة من الحكم

العثماني، نالت حقّها من ضربات العسكر العثماني رغم كثرتها. ونذكر منها على سبيل المثال الحملات العديدة التي نظمها احمد باي لإخضاع قبائل الصّحراء وقبائل وادي مغير [29]، وحملة الباي قارة باغلي -الذي استهل حكم بايلك الغرب سنة 1228ه/ 1813م-، التي زحف بها على قبائل بني مناد -القاطنة بنواحي شرشال- عندما قامت بأعمال فساد، فكان مصير ثوارها بيد الباي، إذ أدبهم بطريقة قاسية لدرجة أنه قتل وأسر الرجال، واستولى على الأموال وسبى النساء والصبيان [30]، إخضاعا لهم وهذا يوضح مدى القطيعة بين الحكام والمحكومين في الفترة الأخيرة للحكم العثماني.

1-3- عقوبات أخرى سلطت على المتمردين:

إنّ رجال العسكر العثماني بالجزائر قد لجؤوا إلى أساليب عسكريّة كثيرة أخرى، كاعتمادهم في عديد المرّات على إعدام زعماء التّمرد، وذلك بغية كسر شوكة أتباعهم وليكونوا عبرة لغيرهم، فبه ركن أفراد المجتمع للخنوع والخضوع. ويمكن أن نضرب عدة أمثلة عن هذا، فحين تمرّد كل من حاكمي تنس وشرشال، قام خير الدين بربروس مابين سنتي 1527و1528م بإعدامهما [31]، وعلاوة على هذا فقد تصدت قوات خير الدين لهجمات السّكان والقبائل المحليّة، كهجمة ابن القاضي بجيش قوامه أربعون ألف رجل، والتي تصدى لها خير الدين بربروس بقوة قوامها عشرة ألاف جندي، فاشتبكوا في معركة كبيرة انتهت بالقضاء على العصاة، ولم ينج منهم سوى سبعمائة ثائر، أما بقيتهم فقد تمّ قتلهم أو أسرهم، وكان على رأس الأسرى شيخ مدينة الجزائر، إذ أمر خير الدين بإعدامه وقطع جسده إلى أربع قطع، وتعليق كل منها على باب من أبواب هذه المدينة ليكون عبرة لغيره [32]، والتصرف نفسه اتّخذه ابنه حسن باشا في سنة 967ه/1559م، حيث قام بحملة على سكان مجانة نتيجة رفضهم لدفع الضّريبة وانتهت هذه الحملة بقطع رأس زعيمها عبد العزيز [33].

وفي السياق نفسه، فالبيلرباي محمد بن صالح رايس حينما قام في عام 975ه/1567م بحملته التأديبيّة على سكان مدينة قسنطينة، الذين هجموا على الحامية العثمانيّة بهذه المدينة وقتلوا حاكمها العثماني، فبمجرد وصوله إلى ضواحي المدينة فتح السكان أبواب هذه الأخيرة دون قتال، فدخلها وقبض على زعماء الفتنة وقتلهم، وسجن عددا أخر من المتورطين وباعهم عبيدا، وأعاد للمدينة أمنها واستقرارها، وعين بدّل الباي المقتول بايا أخر عرف باسم رمضان تشولاق [34]، فجدّد بذلك ولاء أهل قسنطينة للحكم العثماني، وعادوا للخضوع والطّاعة بعد حملة أوْدت بحياة الكثير منهم.

فعلى السبيل ذاته، سارت السلطة العثمانية في ردّ ثورة التيجاني، فبعد القضاء على محمد نجل التيجني ومن معه، قام العثمانيون بحمل رأس هذا الثائر وبعض رؤوس رفقائه إلى مدينة الجزائر وعلّقوه قبالة الباب الجديد وعلقوا الرؤوس الأخرى حوله [35]، وهذا بالتأكيد جعل السكان يركنون إلى الخضوع والخنوع ولو إلى حين.

زيادة على هذا فقد كانت السّلطة العثمانية لا تتوانى في إلقاء العقاب على المتمردين، فإنّ لم تجد رأس التّحريض أو متزعم المتمردين فإنّها تلجأ إلى معاقبة شخص أخر

مكانه حتى تجعل منه عبرة [36] ، ففي 22 أكتوبر 1823م، أعلن قبايل جبال بجاية، ثورة على حكومة العثمانيين، وتسببوا في مقتل العديد من الأشخاص، وأسروا المفتي الحنفي العثماني وأخذوه رهينة مقيّدا إلى الجبال، في المقابل فإنّ هذه المنطقة كانت تقدم كثيرا من العمال لمدينة الجزائر، ولا سيّما من الخدم الذين يشتغلون في منازل القناصل الذين يحبونهم لما يتّسمون به من الأمانة والنظافة، فعلى إثر ثورة إخوانهم في الجبال تلقى جميع القناصل الأجانب مذكرة من الحكومة العثمانية تطالب فيها بأن يُوضع تحت تصرفها جميع الأشخاص الذين ينتمون إلى المنطقة الثائرة ممن يوجد تحت خدمتهم، لكي يعاملوا معاملة الرهائن والأسرى من الثّوار، وبالرغم من رفض بعض القناصل ونوابهم، إلا أنّ الحكومة تمكّنت من القبض بالحيلة والإقناع، والقوة على عمال هاته القبائل الذين يشتغلون في قنصليات بلغاريا والدنمارك، وسردانية، وعقب ذلك قامت القوات العثمانية باختراق منزل القنصل البريطاني في المدينة بالقوة، وألقت القبض فيه على قبائليين اثنين، واجبرا على القيام بالأعمال الشاقة، وتم بعدها إصدار الدّاي نفسه لحكم الإعدام في حق شابين ينتميان إلى المنطقة نفسها، قد التجآ إلى القنصلية [37]، فمن خلال هذا يتبين أنّ السّلطة العثمانية كانت تعتمد أسلوب الإعدام والتصفيات في حق كل من يهدّد حكومتها.

وقبل هذا أيضا، وبالضبط سنة 1236ه/1820م قامت السلطة العثمانيّة بصلب رجال من جبل مزاية –موزاية- لأنّ أهل هذا الجبل قتلوا عسكريا ولم يقرُّوا على القاتل، فقبض هذا الدّاي على هؤلاء المتهمين، وبعث لهؤلاء السّكان أمرا لكي يأتوا بالقاتل، وأعلمهم أنّه إن لم يأتوا به فإنّه سيقتل المتهمين في مكانه، فلم يمتثلوا لأمره، فصلبهم جميعا في يوم واحد وذلك سنة 1237ه/1821م [38]، وعلاوة على هذا فقد كان إذا وقع قتل، فإنّ أعيان المنطقة التي وجدت فيها الجثة يصبحون مسؤولين عن القاتل، ويتحتم عليهم أن يبحثوا عنه، وإن لم يفعلوا، فإنّهم يكونوا مجبرين على دفع ضريبة قدرها ألف سلطاني يوزّع هذا المبلغ على ورثة الشخص المقتول، وفي حال لم يكن له ورثة ينقل هذا المال إلى صندوق بيت المال [39]، فهذا ما يسمى بالعقاب الجماعي، إذ أنّ الجماعة مسؤولة عن أخطاء الفرد، فالواضح من خلال ما تقدّم أنّ السّلطة العثمانية كانت تمارس أسلوب معاقبة الجماعة عن جريمة الفرد، وتحمل الفرد مسؤولية خطا أخيه، وهذا لتَكسِر ذلك التّرابط وتقضي على أيّ محاولة لاتِّحاد جماعة ما، كمحاولة تأديبيّة أو بالأحرى إخضاعيّة.

هذا ومن الإجراءات العسكريّة الأخرى التي اعتمدها العثمانيون لضمان خضوع السّكان، حرصهم كلّ الحرص على عدم امتلاك السّكان للأسلحة، وخير مثال على هذا الكلام هو ما حدث في عهد حسن باشا، فحينما أذِن لسكان جبال كوكو بشراء الذّخيرة بمدينة الجزائر ثار غضب العثمانيين منه وانتهى به المطاف مقيّدا بالحديد ومرسلا إلى اسطنبول [40]، وهذا يوضّح مدى رفض أيّ محاولة لامتلاك السّكان المحليين للأسلحة خوفا من ثورتهم، ولأنّ ثورتهم تعني فناء القلّة العثمانية بالجزائر. والواضح أنّ هؤلاء العثمانيين قد تنبّهوا لهذا الأمر.

وفعلا فإنّ الإجراءات التي اعتمدتها السّلطة العثمانية فيما بعد تؤكد ذلك، فكثيرا ما كان يلجأ العثمانيون لتجريد سكان الريف من الأسلحة، خاصّة إذا ما تعلق الأمر بإحدى قبائل

الجهات التي يكثر فيها التّمرد لأنّ هذه القبائل تستعمل الأسلحة في التّصدي لرجال البايلك، لذلك كان العثمانيون يحرصون على نزع أسلحتهم، خاصة عندما يكونون موضع شُبهة أو يكون خضوعهم لسلطة البايلك محل شكٍّ، ونضرب مثلا لما حدث في 12 ماي 1732م، إذ قامت السّلطة العثمانية بعدما أحسّت بريبة من سكان قبيلة أولاد إبراهيم ببابلك التيطري باحتجاز أسلحتهم وضرب أعيانهم بالعصا بغية تأديبهم [41]، وهذه الإجراءات التي اتّخذتها السّلطة ضدّهم جاءت حتى تضمن استقرار حكمها بينهم.

وما يؤكد أكثر هذا الطرح، هو أنّ الحكومة العثمانية كانت تحتكر أهم الصّناعات العسكرية، كصناعة المدافع والمسدسات والبنادق وحتى البارود، فكانت هذه الأسلحة وعلى اختلاف أنواعها بيد الحكومة، وتصنع في "دار النّحاس"، أو في مصانع أصغر بمختلف البايالبك كقسنطينة وتلمسان وبجاية [42].

كما لا يفوتنا أن نشير، إلى أنّ العثمانيين ولعلمهم بقلّة عددهم وأنّهم يشكِّلون نسبة ضعيفة من سكان البلاد [43]، فقد تميز جنودهم بميزة وهي أنّهم كانوا يستميتون من أجل الدّفاع عن أنفسهم ويستبسلون عند التّصدي لأيِّ هجوم يتعرضون له، وهذا ما أكسبهم هيبة جعلت سكان الجبال كثيري العدد حتى وإن كانوا من ذوي التّسليح الجيّد -حسب طريقتهم- يرتعدون خوفا أمام مجموعة قليلة العدد من الجند العثماني، الذي كان يأتي إلى موطنهم لاستخلاص الضّرائب منهم [44]، وإخضاعهم لسلطتهم.

1- **المحلات العسكرية:**

المحلة لغة من المحل، وهو نقيض المرتحل. فتعني بالتّالي مكان حلول القوم أو نزولهم أما الحركة فهي نقيض الثّبات والجمود، وتعني التّجوال والتّرحال، وهي مصطلح أطلق على الجهاز السياسي العسكري الذي اشتهرت به بلاد المغرب العربي منذ العهد الموحدي، واتفقت المصادر على إبراز ذلك الجهاز كمؤسسة عسكرية جبائية، وفي الوقت نفسه كنمط سلطة متجوّلة، ولم يتخل عن هذا النظام –المحلة- المرينيون والحفصيون، وغيرهم ممن ورث السّلطة من الموحديين عن هذا الرصيد المؤسساتي فكان تواصل العمل بالمحلة وتثبيتها[45]، ومنه فالمحلة هي مؤسسة قديمة أعيد بعثها والتعامل بها في الفترة العثمانية.

ويبدو من المفيد أن نشير إلى أنّ المحلة مفرد المحلات هي لفظ يطلق على الجند المتنقل في الأرياف، وهي حملات فصليّة تتوجّه فيها فرق الجند (اليولداش) بقيادة أغا العرب بالنسبة لمدينة الجزائر، وتحت إشراف البايات في بايلك الشرق، والغرب، والتيطري نحو المناطق الجبلية والسهبية بالدّاخل، وهذه الحملات الفصلية عادة ما تخرج قبل نهاية فصل الرّبيع، ومع حلول فصل الخريف، وتتحدّد مهمة المحلة في إقرار الأمن واستخلاص الضّرائب, ومراقبة القبائل الجبليّة والعشائر البدويّة، وإيقاع العقاب بالعصاة والمتمرّدين من القبائل المعادية للسّلطة، أو التي تحاول التّهرب من دفع ما يتوجب عليها من جباية ورسوم[46]، فيتّضح من خلال هذا أنّ للمحلة دورا كبيرا في إخضاع السّكان للسّلطة العثمانية.

وهي أيضا من أدوات السّلطة التي تقمع بها الأفراد المتمرّدين وفيها علاقات الحاكم بالرعيّة، فقد اتّخذت المحلة شكلا السّلطة المتنقلة في بحثها المتواصل عن الشّرعية في محيط اجتماعي سمته البارزة والظاهرة القبيلة المتحركة وسرعان ما أصبحت جولة سنوية تتمّ فيها عمليات الجباية والرقابة من جهة والزّجر والتّأديب من جهة ثانية، فالمحلة هي أداة عسكريّة بيد السّلطة تجمع بين الفرقة المحترفة التي تأتي من دار السّلطان وتكون تحت إمرة الباي، وبين الفرق المخازنية التي تجندها القبائل المساندة تدعيما لموكب الباي وتعزيزا لقواته من أجل تحصيل الضّرائب وقمع المتمرّدين، هذا وقد كان يقود هذه الأداة –المحلة- العاهل نفسه أو من ينوب عنه مباشرة، فقد كانت أكثر من مجرد جولات جبائية أو حملات ردعيّة تأديبيّة، بل كانت تمثيلا للسلطة وتجسيدا للإدارة المركزية، ففي بايلك الشرق مثلا أخذت المحلة صورة الحملة التأديبيّة محاولة توسيع نفوذ الإيّالة إلى الأطراف والتخوم الصّحراوية المتمنعة، وذلك لمساحاتها الشاسعة ونفوذ قبائلها العريقة[47]، وكذا في بايلك الغرب والتيطري.

والجدير بالذّكر، أنّ للمحلة أدوارا متشابكة يصعب الفصل بينها في بعض الحالات بحكم تشابك الوظائف الرّدعيّة التأديبيّة والجبائيّة والتمثيليّة أحيانا، فتُسمى في الجزائر بمحال الحرب، فالمحلة من خلال تركيبتها وطريقها ووظائفها أداة أساسية في تثبيت هيمنة المركز على دواخل البلاد، ومنه فالمحلة أخذت مظهر مؤسسة سيادة وهيبة، هذا وإنّ تَصَدُر حاكم الإيّالة أو الباي لهذا الموكب رمز لتنقل السّلطة وتجديد حضوره أمام رعاياه كشرط دائم لتجديد ولائهم، فتكون المحلة بمزجها الوظيفي المتعدّد بين الرّدعي والاقتصادي، وبين السّياسي والرمزي رصيدا محوريّا لحكومة العثمانيين ومؤسسة شاملة وكليّة[48].

وما يجب الإشارة إليه، أنّ تسديد المجابي أو الضّرائب هو معنى الخضوع والولاء للسّلطة، أما رفض دفعها فهو التّمرد والحرابة بعينها فعن طريق المحلة تقوم السلطة بتنظيم مجالها، وإحكام السيطرة على رعاياها وتجديد ولائهم، فدفع الضّرائب كأسلوب من أساليب إعلان الخضوع للسّلطة العثمانية والعكس صحيح[49]، فإنْ لم يدفع السّكان ما عليهم من ضرائب، فهذا يدلّ على تمرّدهم والواجب إعادتهم ببعث محلة تفرض عليهم دفع الضّرائب[50]، فالواضح أنّه لهذا السبب قامت السلطة العثمانية بالجزائر بتنظيم عدّة محلات على القبائل المتمرّدة أو الرّافضة لدفع ما عليها من ضرائب.

إذ كان يقوم أغا الصبايحية مثلا بجولة اعتيادية داخل البلاد لجمع الضّرائب من الفلاحين من سكان الجبال، وكذا البدو الذين كانوا يمتنعون عن دفع الضّريبة الموجبة عليهم ولا يقدمونها إلا عندما يرغمون بالقوة على ذلك. ولهذا يقوم الجنود العثمانيون مع مجموعة قوية من الفرسان مشكّلين المحلة بالتنقل في بعض الأوقات من السّنة[51]، وخاصّة مع بداية فصل الصّيف قبل نضج المحاصيل، أو وقت الحصاد وقبل أن يتمكّن هؤلاء السّكان من الانتقال بخيامهم ومواشيهم نحو قمم الجبال أو الصّحاري ليكونوا بعيدين عن أيدي العثمانيين[52].

هذا وكان القائد أيضا يجمع ومعه مفرزة من الجنود كلّ الضّرائب الواقعة على مساحة عشرين ميلا المحيطة بمركز السلطة دار السلطان، أما ما وراء ذلك فحاكم الإيّالة له قوات

عسكرية عثمانية -والمتمثلة في المحلة- تتركب كل قوة من حوالي 200 مائتي شخص، وتعزَّز عند الحاجة بجنود آخرين، وتتمركز في أجزاء متفرقة من الإيّالة لهذا الغرض أي استخلاص الضّرائب[53]، فالواضح أنّ السّلطة العثمانية بقبول السّكان للضرائب فهذا يعطيها دلالة على خنوعهم لها والعكس صحيح.

غير أنّه من الواجب أن نضيف أنّ تهرب القبائل الجبلية والعشائر البدوية من سلطة حكام الجزائر وامتناعها عن تقديم ما يتطلب منها من جباية ومغارم، تحوّلت المحلات إلى حملات وغارات عسكريّة مفاجئة وشرسة على مواطن تلك القبائل والعشائر البدويّة أو الصحراويّة، مارس فيها جنود المحلة كلّ أنواع المصادرات[54]. ولهذا الغرض مثلا جهز يوسف باشا في 17 محرم 1051ه/1641، محلة عسكريّة لإخضاع محمد بن علي شيخ الذواودة، ورجع من المحلة في منتصف محرم سنة 1052ه/1642م، وأعاد الكرة في 23 ربيع الثاني 1057ه/1647م، أما في شعبان 1057ه/1647م، فقد خرج بمحلة إلى الشرق ليحتل أراضي الذواودة وغيرهم[55].

وفي الإطار نفسه قام باي التيطري في 17 ماي 1732م، بالتخييم صحبة فرسانه بوطن حمزة، للتصدي للقبائل التي تقطن الجبال المجاورة، وكان الأغا قد شنّ غارة عليها قبل هذا التّاريخ بفترة واستطاع في ظرف أيام قليلة أن يأخذ منها ثمانمائة جمل وألفي خروف[56]. تأديبا وإخضاعا لهم.

وكما أوردنا سابقا، فإنّ سكان جبل فليسة قد عُرفوا بكثرة التّمرد على السّلطة العثمانية، ولا يخشون الحكام وسلطة العثمانيين رافضين دفع الضّرائب بكلّ أنواعها وأشكالها معلنين تمرّدهم بعديد الممارسات، كقطع الطريق على المسافرين، والقيام بأعمال النّهب والسّرقة، ولإخضاعهم قامت السّلطة العثمانية عام 1181ه/1767م بإرسال عدة محلات لتأديبهم، إلا أنّ هؤلاء السّكان وفي المرتين تمكّنوا من هزيمة المحلتين، غير أنّ السّلطة العثمانية لم تتوان دقيقة في بعث المدد والذي تمثل في سبعة أمحال –محلات- أخرى، واحدة فواحدة، وعلى إثرها مات الكثير من الجانبيين، وكان مفعول هذا أن استسلم هؤلاء السّكان وطلبوا الأمان من الحاكم، وتعهدوا بدفع الزّكاة والأعشار كل سنة[57] .علامة على خضوعهم وخنوعهم للسّلطة العثمانية، وبه يتأكّد أنّه لم ينجح إلا أسلوب القوة معهم لأنّهم قوم يحبّون الحياة الحرة ولا يرضون بأيِّ سلطة تقيّدهم.

كما لا تفوتنا إلى الإشارة أنّ المحلات مثلما نظمت لتطويع القبائل الرافضة لدفع ما عليها من الضرائب نظمت أيضا لإخضاع القبائل المتمردة والثائرة على نظام الحكم العثماني، فسياسة الحكام العثمانيين، كانت تتمثل في معاقبة كل من يخرج عن طاعتهم ويثير الفوضى والثورات ضدهم بإرسال محلات عسكرية لإخناعهم ولمعاقبة كل من ساندهم من أعراش تلك القبائل. ولنضرب مثلا ما حدث إبان بعض الثّورات، فحينما قام سكان تلمسان في رمضان 1038ه/1629م بإعلان الثورة على حكم العثمانيين بزعامة أحمد بن عبد الله – المغربي الذي ادّعى المهدوية-، تحركت قوة العثمانيين بزعامة القائد محمد بن سوري بمحلة خرجت من مدينة الجزائر قاصدة تلمسان، وفعلا نجحت هذه المحلة بقوتها وسطوتها أن تقضي على ثورة

المدعي المغربي وتذهب آماله باحتلال تلمسان أدراج الرّياح، فكان مصيره أن حمل جلده وجلد خليفته المهتدر محشوا بالتّبن إلى مدينة الجزائر في15 رمضان من سنة 1038ه/1629م[58].

وزيادة على هذا، فإثر ثورة الشريف ابن الاحرش وصل خبر ثورته إلى حاكم الايالة، فأصدر هذا الأخير أمرا لعثمان باي لتجهيز محلة قويّة يتوجّه بها إثر الشريف المذكور ويقضي عليه ويعاقب كل من تبعه ونصره فكانت نتيجة ذلك أن خضع هؤلاء السّكان، غير أنّ ابن الأحرش ثار من جديد على السّلطة وتسبب في مقتل الباي المذكور[59]. وهذا ما دفع بالسّلطة إلى تعيين باي محله، وهو قائد الخشنة السابق المكنى عبد الله -الذي كان متزوجا بالدايخة بنت قانة شيخ العرب على قسنطينة-، فاستعان هذا الباي بأصهاره وسائر كبراء العرب، وقبائل المخزن، ثمّ خرج بمحلة لمحاربة ابن الاحرش، إلى أن هرب هذا الأخير إلى بايلك الغرب، وعلاوة على هذا فعلى إثر ثورة الدرقاوي أيضا فإن الباي المقلج – المقلش- جهّز محلة كبيرة خيّمت خارج مدينة وهران وحدثت الاشتباكات بين هذا الباي والدرقاوي انتهت بهرب الدرقاوي إلى عمالة المغرب الأقصى، ورجع الباي وقواته منتصرين، فأخضع بذلك سكان هذه الجهة واستقرّت سلطة العثمانيين ببايلك الغرب [60].

هذا وكان للمحلة دور في إخضاع الأفراد وكذا رجال السّلطة القضائية لقرارات قادتها، فلقد كان يحدث هذا بعد الأخذ برأي أهل المشورة، فعلى إثر تلك الفتنة التي حدثت بين مُفْتِيَيْن بمدينة قسنطينة وهما عبد الله المكنى ابن نعمون وأبو العباس المدعو حميدة بن أبي زكرياء يحي بن باديس، تدخل عسكر المحلة لحلّ المشكل وعزل أبو عبد الله وتم تعيين أبي العباس بدلا عنه[61]، وهذا يؤكد ويوضّح أنّ لجيش المحلة دورا سلطويّا في اتّخاذ القرارات حتى داخل السّلطة القضائية.

والجدير بالذّكر أنّ الأمحال كانت في بداية الحكم العثماني بالجزائر تخضع النّاس وتخرج في أوقات معيّنة لاستخلاص الضّرائب من خراج وزكاة والأعشار، فهكذا وضع أوائل العثمانيين الجباية على المنهج الشّرعي، أما الأواخر فقد صاروا يخرجون المحلات لنهب أموال السّكان، وهذا خلق عدم استقرار. فكانت محلة الغرب تخرج في أبريل وتقيم أربعة شهور، ومحلة التيطري تخرج في الصّيف وتقيم ثلاثة شهور، ومحلة الشّرق تخرج في اليوم الأول من الصّيف وتقيم ستّة شهور، وأمّا قايد سباو فلا محلة له وإن وقع وحدث تمرد تأتي محلة مخصوصة تسانده للقضاء على التمرد وترجع إلى محلها[62]، وهذا للإشارة فقط لما أصبحت عليه أوضاع المحلة نهاية الوجود العثماني بالجزائر. هذا ويمكن أن نعدد هذه المحلات عبر كل الايالة الجزائرية مع عدد خيامها وجنودها سنة 1245ه/1829م حسب ما قدمه دفتر التشريفات في الجدول الأتي[63].

المحلة	عدد الخيم	عدد الجند
محلة التيطري	15	195
محلة الشرق	80	1092

محلة الغرب	60	814
مجموع المحال	155	2101

إنّ ما يمكن ملاحظته من خلال هذا الجدول أنّ ترتيب المحلات من حيث عدد جندها وخيامها كانت كالأتي محلة الشّرق ثم محلة الغرب وأخرها محلة التيطري. هذا وكان أيضا يحدّد عدد أفراد كلّ محلة مساحة البايلك ودرجة خضوع القبائل القاطنة به. فكلما كان البايلك ذو مساحة واسعة كان عدد الجند كبيرا والأمر نفسه إذا كان يقطن به عدد كبير من القبائل الممتنعة أو العاصية، والعكس صحيح.

بعدما لاحظنا من خلال كل ما تقدّم أنّ الحكومة العثمانيّة قد نظّمت الحملات والمحلات ضدّ السّكان لضمان استقرار حكمها وخضوع المجتمع لها، ولاحظنا أيضا أنّه وبالرغم من كثرة هذه الحملات والمحلات ونجاعتهما، إلا أنّ السّكان كانوا كثيرا ما يعودون ويعلنون تمرّدهم من جديد، فكان لابد للحكومة ولضمان عدم حدوث هذا أن تترك قوات عسكريّة في الأماكن الإستراتيجية لتحقّق النّظام وتحارب كل محاولة للتّمرد من جديد، ومن النّاحية الإستراتيجية أيضا كان لابد للعثمانيين ولضمان سيطرتهم على كلّ أراضي الجزائر أن لا يكتفوا بالبقاء في مدينة الجزائر مركز السلطة وحدها، بل كان عليهم التّوسع أكثر في المناطق الدّاخلية، فلهذا قامت الحكومة العثمانية بإيّالة الجزائر بإنشاء ما يعرف بالنّوبات.

2- النّوبات "الحاميات":

النّوبات مفردها نوبة ومن معاني النّوبة في اللّغة هي الجماعة من النّاس أمّا في الاصطلاح فقد أطلق هذا اللّفظ في العصر المملوكي على أفراد وحدة من الجيش كانوا يتناوبون على حراسة السّلطان، ومن ثمّ أطلق عند العامة في العهد العثماني على الفرقة الموسيقيّة العسكريّة وعلى حملة الإعلام والطبول والصنوج من الدراويش، أثناء قيامهم ببعض العروض الخاصّة بالطّوائف الصّوفية[64]، هذا وأطلق هذا المصطلح أيضا على الفرق والوحدات العسكريّة المقيمة بالمراكز العسكريّة المعروفة بالحاميات[65]، والحاميات هي جمع الحامية وهي الجماعة من الجيش تحمي نفرا أو بلدا أي تدافع عنه وتسهر عليه.

أما فيما يخصّ أماكن إقامة هذه النّوبات أو الحاميات العسكريّة، فقد ركزت السلطات العثمانيّة على إقامتها في المواقع العمرانيّة المهمة والأماكن الإستراتيجية[66]، لحراستها وإحكام السّيطرة على هذه المناطق وما جاورها ولضمان ولاء سكانها وإذعانهم للحكم العثماني في كل مناطق تواجد جنودها.

وما ينبغي الإشارة إليه، أنّه وبمجرد ما يعلن قاطنو هذه الأماكن عن خضوعهم للقوانين، كانت الحكومة العثمانيّة ترسل حامية تقي سكانها من كل هجوم، ويقود الحامية ضابط برتبة بولكباشي يساعده اوضاباشي وباش يولداش، وهؤلاء الثّلاثة يمثلون الدّيوان، ويعتبرون قادة عسكريين وإداريين في الوقت نفسه، وعليهم أن يتفاهموا مع رؤساء المقاطعة لحماية المصالح المحليّة والقيام بمهام الشّرطة كلّ سنة[67]. أما في الصحراء فقد كان بمجرد ما يعين الباي مشايخ الصحراء ويقلدهم زمام الحكم يهدي إليهم معطفا مدبجا بالخيوط الذهبية، ويتم وضع

تحت تصرف الشيخ الواحد عشرين خيمة من الجنود العثمانيين وإعلاما وجوقة موسيقى عسكرية، ويكون هذا الشيخ كالملك بالنسبة لسكان الصحراء[68]، ويبدو أن هذه حامية ترابط داخل القبيلة الصحراوية لتضمن ولائها للسلطة العثمانية.

والجدير بالذكر أنّ الحامية العثمانية في الأوقات العادية تتكون بمدينة الجزائر من عدد يتراوح مابين ألف وخمس مائة وأربعة ألاف رجل، ومعظمهم من الجنود المتقدّمين في السّن والجنود حديثي التّجنيد والذين يجري تدريبهم للخدمة العسكرية[69]، كما أنّ كلّ نوبة تتكون من عدد معين من السفرات[70]، والسّفرة تتكون بدورها من عدد معين من الجنود. فقد ورد في كتاب التّشريفات أنّه في سنة 1245ه/1829م كان يتراوح عدد السّفرات في البايلك مابين واحد وعشر سفرات وكل سفرة تحوي من 14الى 15 جنديا وفي حالة واحدة قد ورد في المصدر نفسه أنّه قد وجد سفرة واحدة في قشتولة تحوي 62 جنديا[71]، أمّا في مصادر أخرى فقد ورد أنّ السّفرة تضمّ 16 جنديا متضمنة وكيل الحرج ولسشي[72]، أمّا في أخرى فقد ورد أنّ كلّ نوبة تتكون من عدّة سفرات وكلّ سفرة تتألف من 15 إلى 20 عسكريا[73].

أمّا عن مواقع تواجد هذه الحاميات فهي موزّعة على عدّة مراسي وبلدان عبر كلّ الإيّالة، ويمكن ذكر أهم تسمياتها من خلال أماكن تمركزها وهي كالآتي نوبة تامنفوست، ومرسى الذبان، وبرج الفنار، وكهف الزجالة، والقصبة، والقصر، وحاج علي باشا، وبن جنات، وقشتولة، وزرهورة، وقسنطينة، وتبسة، وجيجل، وبرج حمزة (البويرة)، وبجاية، والقل، وعنابة، وبسكرة، ووهران، ومستغانم، وتلمسان، ومعسكر، وبوغني[74]، وزمورة(قرب مجانة)، وبرج بوعريريج، والمسيلة، وقلعة بني راشد، ومازونة، والقليعة، والمدية، وورقلة، وسوماتة بوطن بني خليل، وسطيف، ونقاوس، وفي جبال كوكو[75]، كما توجد أيضا حاميات في كل من تنس، وشرشال، وبرج بوحلوان، وهبرة بين وهران والجزائر، وحامية أخرى في سور الغزلان (أمال)، وفي دلس، وسباو، ومهدية بالتيطري، وفي جندل[76]، دون أن ننسى حامية برج الكيفان، ومتيفو ورأس المول وبرج منايل[77]، والملاحظ من خلال كل ما تقدم أن الحاميات العثمانية كان لها مراكز تتوزع في كل بقاع وأمصار الإيّالة سواء في المدن كوهران وقسنطينة أم في الأرياف مثل مهدية وبرج حمزة، وفي المناطق السّاحلية مثل القل وجيجل وعنابة، وفي المناطق السّهلية مثل بحلوان وكذا في المناطق الجبلية مثل جبل كوكو وعلى الحدود مثل تلمسان وفي تخوم الصّحراء مثل بسكرة أو حتى في الصّحراء مثل ورقلة وهذا كلّه حتى يُحكِم العثمانيون سيطرتهم على كلّ أراضي الإيّالة.

وفيما يخص حركة تبادل وتغير الحاميات، فقد كانت تغادر الحامية مكان الحراسة في ربيع كلّ سنة وتخلفها حامية أخرى وهكذا دواليك[78]، إذ أنّ حاكم الإيّالة يُرسل لكلّ باي حامية في كلّ سنة مرّة، وجنود الحامية هم من يقومون بالجولات في كلّ أنحاء البايليكات أو المقاطعات مع البايات[79]، فمما تقدّم يتبيّن أن القوة العسكريّة المصاحبة للحكام تتألف من العسكر، وهم من الحاميات الموزّعة عبر كل أمصار الإيّالة، فيشاركون في الحملات والمحلات الموجهة لمراقبة وإخضاع القبائل وكذا تحقيق الأمن وجمع الضرائب.

3- **القواعد العسكرية:**

نلاحظ من خلال ما أوردنا سابقا أنّ هذه الحاميات موزّعة في كلّ جهات الإيّالة. ولهذا اهتمت السّلطة العثمانيّة كثيرا ببناء مقرّات ومراكز عسكريّة لجنود هذه الحاميات في كلّ محلّ كثير التّوتر والتّمرد، وتمثّلت هذه المقرات في ثكنات أو حصون أو قلاع أو أبراج تحميها أسوار[80]، ويُمكِن تبيّن ذلك من خلال إبراز أهم المواقع العسكريّة للحاميات العثمانيّة بإيّالة الجزائر. نستهلها أوّلا بمدينة الجزائر مركز السلطة ثم ثانيا بأراضي البايليك.

1-4- القواعد العسكرية بمدينة الجزائر:

إنّ **الثّكنات** أو كما نجدها في الوثائق الأرشيفيّة دار الانجشاريّة[81]، أو الانكشاريّة[82]، أو دار الجيش. وهي المؤسسات التي تأوي الأجناد فكلّ الثّكنات أو القشتلات -باللغة العصمانلية - كانت توجد بمدينة الجزائر[83] فقط[84]، ويعدِّد"فنتار دي باردي" عدد الثّكنات بمدينة الجزائر بسبع أو ثمان ثكنات هذا وقد ورد في تهميش المصدر نفسه أنّه يوجد بهذه المدينة اثنتا عشرة ثكنة، فالثّكنات القديمة كانت تسمى جيجني أدا، والثّكنات الجديدة تسمى باسم مؤسسها أو الذي حكمها أول مرة مثل مزيان اغلو، مصطفى قرماني أد سي وأخر اسمه هزوزجي الجلداش[85]، ولعلّ من أبرز هذه الثّكنات بمدينة الجزائر هي:

الثّكنة القديمة التي عرفت بدار الانكشاريّة الفوقانيّة وذلك لموقعها المرتفع مقارنة بنظيرتها من الثّكنات، والثّكنة الجديدة وعرفت بدار الانكشاريّة السّفلية أو التّحتانية، هذا وإنّ كلتا الثّكنتين قد أطلق على قاطنيها من الجنود باسمين مثيرين للانتباه فالأولى أطلق عليهم لقب النّاس الطيبين أمّا الثّانية فقد أُطلِق عليهم رماة الرّصاص الفضي لشدّة قنصهم لهدفهم، أي أنّهم كانوا يطلقون النّار بدقة على الهدف، وبالإضافة إلى هذا نجد بهذه المدينة أيضا ثكنة الدّروج إذ كان الوصول إليها يتطلب صعود الدّروج، وهي تقع بحي الدّاميس القريب من باب الجهاد، لذا عُرِفت بثكنة الدّوامس أيضا،كما عرفت في عام 1830م بثكنة القناصل، لكونها مقابلة لشارع القناصل[86].

زيادة على هذه الثّكنات نجد ثكنة باب عزون المعروفة بدار الانكشارية أو دار الكبيرة أو ثكنة البناجية، والتي تمّ تشييدها عام 1599م، كما نجد ثكنة الخراطين التي أخذت اسمها من الحيّ الذي توجد به محلات الخراطين أو صالح باشا بباب عزون، وتعدّ هذه الثّكنة أقدم ثكنة في مدينة الجزائر، إذ شيّدت في عهد خير الدين بربروس، بالإضافة إلى ثكنة المقرئين أو المكررين، إلا أنّ هذا الاسم قد حُرف وأصبح ينطق بالمقارون، زد على ثكنة أخرى وهي ثكنة الاوسطى موسى التي عرفت بهذا الاسم نسبة إلى اسطى موسى الأندلسي الذي أنجز قنوات لنقل مياه الحامة إلى مدينة الجزائر، ولكونه انكشاريا فقد كانت له غرفة في هذه الثكنة، وتقع بباب الدزيرة المؤدية إلى الميناء[87]، والمعروف أنّ الطّلقة التي قتلت محمد باشا انطلقت من هذه الثّكنة[88]، ضف إلى ثكنة علي باشا، وبالي اده[89].

والجدير بالإشارة أنّ الجنود أو المليشيا العثمانية سكنت هذه الثّكنات تحت إشراف قوادهم، إذ كان يسيِّر كل كتيبة ثلاثة قواد، أو قادة اسم الأول بولكباشي والثاني اوضاباشي

والثالث باش يولداش، وكلّما نظّمت حملة أو وقع تغيير حامية تحتم على بولكباشي أن يقود الكتيبة صحبة نائبه[90]، ويبدو أنّ هذا الشيء خلق علاقة بين الحاميات في كلّ الايالة.

هذا وقد وجدت بمدينة الجزائر أيضا، عمارات عسكرية أخرى **كالحصون، والقلاع، والأبراج**[91]، و**القصبات** و**الأسوار**، ويمكن أن نذكر أبرز هذه التّحصينات التي وردت في المصادر، فصاحب مذكرات شريف الزهار يذكر أنّه في عهد الحاكم حسين باشا وُجد بهذه المدينة سبعة حصون، قام العثمانيون بتشييد أكثرها، فحصون باب الواد مثلا أقامها الحاكم محمد بن صالح ريس، والداي بابا علي هو الأخر قد شيد اثنين من الحصون الجديدة، هذا ويمكن ذكر مراكز أخرى، فالقصبة مثلا كانت تعتبر حصن أو بالآحرى مجموعة حصون والتي كانت مقرا للإمارة، بالإضافة إلى حصن برج الفنار وحصن المرسى وحصن مولاي حسن وحصن تافورة وحصن سردينيا،كما وُجّد مقابل المرفأ حصن لانترن وكانوا مزودين بمدافع، وكذلك كان يوجد في سيدي فرج حصن صغير[92].

وزيادة على هذا، فعلى مقربة من باب الوادي كان يوجد حصن سيد عكوليت وهو على الأرجح حصن سيتي تافليلت المعروف برج بوليلة، الذي بنى في ليلة واحدة أو في يوم وليلة، وقد عرف أيضا باسم حصن أربعة وعشرين ساعة أو برج علي، وسمي بهذا الاسم الأخير لأن حاكم الجزائر علج علي هو من شيّده عند مصب وادي المغاسل خارج باب الوادي سنة 1596م، وقد كانت به ثماني بطاريات -مدافع- تشكل دفاعات مدينة الجزائر في الناحية الغربية، كما وجد خارج المدينة عدة حصون ذات قيمة أقلّ، فالحصن الرئيسيّ هو ذلك الذي بناه حسن باشا في عام 1545م، في الموقع الذي أقام فيه شارل الخامس-شرلكان- خيمته سنة 1541م، ويُدعى أيضا حصن امبريال، هذا ويوجد بين تل ورأس تمنفوست حصن رابطت فيه حامية عثمانية بصفة دائمة[93].

وقبل أن نشير إلى المراكز العسكريّة التي وُجِدَتْ خارج مدينة الجزائر، سنحاول إبراز هذه التحصينات بهذه المدينة أوّلا وذلك لأنّ هذه المدينة تعتبر مركز السلطة، ثم نتطرق إلى المراكز التي كانت موجودة في البلياليك. فبهذه المدينة كان يوجد بالإضافة إلى الثّكنات والحصون قلاع رهيبة تحيط بالميناء كلّه[94]، إذ كان يوجد بجانب المدينة من النّاحية البريّة أربع قلاع[95].

وندرج في السياق نفسه، قلعة الإمبراطور المعروف ببرج الطاووس أو برج السلطان قالاس أو برج مولاي حسن الواقع أعلى مدينة الجزائر، فقد عسكر في مكانه الإمبراطور شرلكان عند حملته على مدينة الجزائر فعرف به، أما إنشاؤه فيعود إلى ما بعد تلك الحملة فقد شيده حسن بن خير الدين حاكم الجزائر سنة 1543م، وطور تحصيناته البيلرباي حسن فينيزيانو، وأدخل عليه تعديلات في سنة 1656م، وزوّده ب56مدفعا[96]، ويبدو أنّ هذا البرج هو نفسه الحصن الذي تكلمنا عنه سابقا، ففي بعض المصادر ورد على أنّه حصن وفي مصادر أخرى ورد على أنّه برج، غير أنّنا نظن أنّه قد بني في البداية حصنا ثم بنى على سوره برجا سمي بالاسم نفسه.

وعلاوة على هذا، قام العثمانيون منذ وجودهم بتشييد عدة أبراج أخرى بهذه المدينة حتى يضمنوا حماية واستقرار حكمهم في الجزائر، ونذكر منها على سبيل المثال برج الفنار، فبعد تحرير صخرة البنيون من الاسبان سنة 1529م قام خير الدين بتدميرها وبناء ثكنة وبرج للمراقبة عرف ببرج الفنار، بهدف إحكام السيطرة على المدينة[97]، أما ابنه حسن باشا فهو بدوره قد بدأ ببناء برج الجزيرة في رمضان 1027ه/1618م، وأتمّ بناءه في 29 ربيع الثاني 1034ه/ 1824م، وعلى السبيل ذاته سار علي باشا ففي عهده بنى بنيان برج باب الواد، وقد كان واقفا عليه بنفسه ومعه أهل الصنعة والمعرفة نحو العشرة منهم نصارى ومسلمون، وكان حريصا على إتمام بناء هذا البرج[98]، غير أنّه لم يتممه إلا أنّ الداي مصطفى باشا قام بعده بإتمامه، ثمّ أتمّ بعده بناء برج رأس النافورة،كما أراد أن يجدّد بناء برج قانت الفول ويكبره لأنّه كان برجا صغيرا[99].

وبالإضافة إلى هذا فمحمد باشا المجاهد الذي تولى الحكم سنة 1197ه/1783م، هو الآخر قام ببناء عدة أبراج للجهاد وهي برج سردينة والبرج الجديد[100]، وبرج رأس عمار، وعلاوة على هذا فقد قام حسين باشا الذي تولى الحكم سنة 1233ه/1818م ببناء برج باب البحر وطبانة[101]، وهذه الأخيرة هي المركز العسكري المحصن بالمدافع وأصل الكلمة تركية وهي طوب خانة.

وفي هذا السّياق، فقد وُجِدَتْ عدة أبراج أخرى في الطرف الأعلى لهذه المدينة، إذ كان يدافع عنها أربعة أبراج وهي بالإضافة إلى برج باب عزون وبرج تافورة وبرج سفيد الحامة، ويمكن أن نضيف لهذا عدة أبراج أخرى كانت موجودة بهذه المدينة ونواحيها أهمها برج القنطرة (الحراش)، وبرج تامنتافوست، وبطارية واد خنيس(حسين داي)[102] ،وبرج الكيفان[103]، وبرج راس سفورة[104]، وبرج كورديلييروس، وبرج البوانت أو الرأس[105]، وغيرها كثير.

هذا و لقد اهتم العثمانيون أيضا بتحصين وحماية مدينة الجزائر ب**أسوار** منيعة شيّدوها باهتمام كبير. فمثلا قام خير الدين بربروس بإعادة بناء السّور القديم للمدينة باستعمال حجارة أثار تمنفوست ومواد أخرى جيّدة وصلبة وباستغلال الحائط الرّوماني القديم فارتفعت الأسوار من 11الى 13 مترا مع حفر خندق خارجها[106]، ومثلما اهتم العثمانيون ببناء الأسوار اهتموا أيضا بصيانتها وترميمها، ففي المدينة نفسها -مدينة الجزائر - كان من بين مهام الأسرى هو: ترميم أسوار هذه المدينة[107]،

فمن خلال كلّ ما تقدّم نلاحظ أن أبرز التّحصينات التي وُجِدَتْ بمدينة الجزائر كانت ساحليّة، ما يُبيّن أنّها قد شُيّدت ضدّ الغزو الخارجي بالدّرجة الأولى، وليس ضدّ التّمردات الدّاخلية إلا أنّنا لا يمكن أن نلغي دورها في تعزيز قوة مركز السّلطة العثمانية بالجزائر، والأكيد أنّها كانت من أساليب الدّفاع عن مركز السّلطة والبقاء في الجزائر واستمرار الحكم العثماني بهذه الأخيرة لأزيد من ثلاثة قرون.

4-2- القواعد العسكرية بالبايليك:

أما فيما يتعلّق بالمناطق الدّاخلية، أي أراضي البايليك فقد حصنت المدن الكبرى، والمواقع الإستراتيجية الأخرى في السّواحل، والجبال، وتخوم الصّحراء، والصّحراء بمراكز عسكريّة كثيرة، فكانت هذه المراكز كنقاط مراقبة للسّكان في كل جهات الايالة خاصة عند القبائل الجبليّة والعشائر البدويّة، فقد تمثلت هذه المراكز العسكريّة في الحصون، والقصبات، والقلاع، والأبراج، والأسوار، والقصبات، إذ قامت الحكومة العثمانيّة بتحرير بعضها من الإسبان، وترميم بعضها القديم وإنشاء أخرى جديدة، وتواصل ذلك طيلة الفترة العثمانية، وهذا كلّه لإحكام السيطرة على البلاد بتأمين طرق المواصلات ولكبح ثورات وتمردات السّكان، وسنتعرّض إلى أبرز هذه المنشآت العسكريّة الرئيسيّة بالبايليك.

- **الحصون والقصبات:**

قام العثمانيون ببناء عديد الحصون بالبايليك لإبقاء السّكان تحت سيطرتهم، فببرج حمزة شيّد حصن يحتوي على ثمانية عشر مدفعا ليكون كنقطة مراقبة لقبائل جرجرة وعشائر عريب وبني سليمان، ومقرّا لحامية من الجنود يقدر عددها بنحو خمسين رجلا يحرسون الطّريق ويشاركون في المحلات، ويواجهون القبائل المتمرّدة، وبمدينة المدية أيضا بُني حصن على نتوء صخري ليسهّل الدِّفاع عنها ضدَّ القبائل المحليّة المتمردة أيضا[108]، وزيادة على هذا، فقد وجدت عدّة حصون في مناطق أخرى فبمليانة كان يوجد حصن منيع وببجاية[109]، وبعنابة أيضا[110]. هذا ونجد أيضا أنّ العثمانيين قد قاموا ببناء حصن حصين ببسكرة فوضعوا أساسه على رأس الماء الذي يأتي إليها، فلم يقدر هؤلاء السّكان على الخروج عن سلطة العثمانيين الذين سيطروا على منبع الماء الذي به حياة البلد وأهله، فسيطر العثمانيون على سكان هذه المدينة بفضل الحصن وموقعه[111]. زد على هذا فقد اهتم العثمانيون بتشييد القصبات، وجعلوا منها مراكز للحماية والدّفاع، فهي مراكز دفاعيّة أكثر منها سلطويّة على المدن[112] ، ونذكر منها قصبة مدينة قسنطينة وغيرها.

- **القلاع:**

وبالإضافة إلى هذا، فقد اعتمد العثمانيون على التّمركز في القلاع لحفظ الأمن وإخضاع السّكان ونذكر من ذلك على سبيل المثال أنّ حسن باشا ترك في تلمسان في قلعة المشور أربعمائة حارس من الانكشارية[113]، ضف إلى أنّ مدينة شرشال هي الأخرى كانت بها قلعة عثمانيّة لحفظ الأمن، فعلى إثر حملة أندريا دوريا سنة 1530م تصدت لهذه الحملة قوات من الأندلسيين والسّكان بقذف القذائف على الإسبان من أعالي هذه القلعة[114]، وعلاوة على هذا فتلمسان كانت بها قلعة تضم ثكنات للانكشارية، ومستغانم أيضا وُجِدَت بها قلعة أُقيمت على قمة إحدى هذه الصّخور، وتنس هي الأخرى قد وُجِدت بها قلاع حصينة وجنود حاميتها كثر[115].

هذا وحُظيت الجهة الشّرقية بدورها بالعديد من القلاع، ففي مجانة أقام العثمانيون قلعة لمواجهة الأمير عبد العزيز[116]، كما بنوا قلعة بالسطحة المنصورة بقسنطينة وسُميت

بقلعة المنصورة، وذلك لإقامة العسكر لإخضاع السّكان والسّيطرة على المدينة، وكان يتم القذف بالمدافع من فوقها عند الحاجة[117]، وعلاوة على هذا فقد أنشأ العثمانيون في جيجل قلعة تسكنها حامية عسكريّة، هذا وكانت مدينة بجاية تملك ثلاث قلاع اثنتان منها في الميناء وواحدة في جبل صخري، ضف إلى أنّ زمورة أيضا كانت محصنة بقلعة، وبسكرة هي الأخرى وُجدت بها قلعة وحامية[118]، وعلاوة على هذا فإنّ سور الغزلان قد وُجد به قلعة قام شعبان باشا (1592م-1595م) بتجديد بنائها وتجهيزها[119].

- **الأبراج:**

لقد تعدّدت الأبراج بالايالة بمختلف أنواعها، الأبراج التي تحصن الأبواب، والأبراج الجانبيّة والأبراج الركنيّة والأبراج مستقلة البناء التي ترتفع على مشارف المدن، وتتعدّد الأبراج الملحقة بالأسوار. فقد أقام حكام الجزائر الكثير من هذه الأبراج كنقاط حراسة ومراقبة للقبائل الجبليّة والعشائر البدويّة، فمثلا بالجهات المتاخمة لإقليم دار السّلطان والمتحكمة في مناطق التيطري وبلاد القبائل أقام العثمانيون عدّة أبراج وهي: أم نايل، وحمزة (البويرة)، وسور الغزلان، التي شيّدت في سنة 1594م وكذا برج بوغني وتيزي وزو والوادي وبوحلوان[120]، كما شيّدوا أيضا برجا بسباو قرب زواويت[121].

أما في بايلك الغرب، فبالرغم من عديد الأبراج التي كانت موجودة في هذا البايلك قبل مجيء الاسبانيين والتي شُيّدت على يد المرينيين، إلا أنّ العثمانيين قاموا ببناء أبراج أخرى، فقد قام بايات هذه الجهة بالاهتمام بهذا الأمر، ونذكر منهم محمد بن عثمان الكبير فاتح وهران الذي بنى البرج الأحمر سنة 1207ه/1792م[122]، والباي إبراهيم الملياني الذي شيّد برج العسكر بمعسكر عام 1170ه/1756م[123]، وعلاوة على هؤلاء فإنّ الباي أبو الشلاغم قد بنى بمستغانم برجا يُقال له برج الترك الأبطال، أمّا أغاته فقد بنى هو الأخر برج سمي ببرج المحال أو الأمحال[124]، وزيادة على هذا فقد شيّد العثمانيون في هذا البايلك أيضا برج الصبايحية، وبرج شلابي بواد سيق[125]، وبرج شرشال الذي شُيِّد بأمر من عروج سنة 924ه/1518م[126]، هذا ويوجد بمدينة وهران برج يسمى برج قطاع الرؤوس[127].

أمّا عن بايلك الشرق فقد حُظي مركزه قسنطينة باهتمام العثمانيين، ولهذا قاموا بتشييد برج يستقرّون فيه وكان ذلك سنة1039ه/1629م[128]، كما أنّهم بنوا أبراجا أخرى في أقاليم هذا البايلك فأحمد باي القلي بدأ في بناء برج الفسقية في طريق باتنة، ثمّ أتمّ هذا البناء بعده صالح باي[129]، وما يجب الإشارة إليه هو أنّ العثمانيين كثيرا ما كانوا يستعملون بقايا الآثار القديمة في بناء مراكز عسكريّة تساعدهم على إبقاء السّكان المحليين تحت سيطرتهم، فمن الأبراج التي بُنِيت على بقايا الآثار القديمة نجد برج سور الغزلان الذي بناه حسن بن خير الدين بربورس حتى يتصدى لإخضاع القبائل الجنوبيّة[130].

فمن خلال ما سبق، نلاحظ أنّ هذه الأبراج كانت مشيَّدة على طول الطّريق الرئيسيّة التي كانت تربط دار السلطان بالبايليك الثلاثة، وكان الغرض منها تأمين العبور للرّسميين

والمنتقلين عامة بين دار السّلطان والمناطق الدّاخلية، كما أنّها تعتبر نقاط استراحة للمسافرين فمثلا الرّسميون المنتقلون إلى بايلك الشّرق القادمون من دار السّلطان يتوقفون في برج منايل للعناية بخيولهم وأخذ قسط من الرّاحة، ومن ثمّ يواصلون ترحالهم ليتوقفوا في المحطة الثّانية، برج حمزة..

- **الأسوار:**

مثلما قلنا سابقا فالعثمانيون قد اعتنوا بتحصين وحماية المدن والحصون والقلاع بأسوار منيعة واهتموا بصيانة وترميم هذه الأسوار. فمثلا بمدينة معسكر قام محمد الكبير بتشييد أسوار معسكر المسلّحة[131]، وفي وهران قام الباي نفسه بترميم سور وهران عندما فتحها[132]، هذا وقد اهتم أحمد باي بأسوار مدينة قسنطينة التي كانت دائما تحمي العثمانيين من ضربات أعدائهم[133].

فمن خلال كل ما تقدّم، نلاحظ أنّ كلّ العمارات العسكريّة التي شيّدها العثمانيون قد أمَّنت إلى حدٍّ كبير حركة التّنقل بين مختلف المناطق، إذ ضمنت السّلامة والأمان للقوافل والمسافرين والرّسميين، والسّهولة النّسبيّة لقافلة البايات لنقل الدنوش إلى دار السّلطان، والمكلّفين بحمل أجرة أفراد الحاميات في مواقعهم. فلولا هذا التّنظيم العسكريّ لما تمّت عملية القوافل بين السّلطة المركزيّة والمناطق الدّاخليّة المختلفة، والواقع أنّ نظام الحصون والقلاع هو السّمة البارزة لسياسة العثمانيين في توسّعاتهم منذ فتح القسطنطنية 1453م، وما يؤكد ذلك انتشار القلاع والتّحصينات والأبراج في أوروبا الشّرقيّة من سور فينا إلى استانبول. وسار العثمانيون على النّظام نفسه في الجزائر، وذلك لما أظهره من نجاعة.

5- العناصر المجندة محليا:

إنّ السّلطة العثمانيّة لم تكتف بتلك الآليات العسكريّة المذكورة سابقا لضمان خضوع السّكان لها، خاصّة في فترات تَنَاقَص فيها عدد الجند لأسباب، لعلّ أبرزها قلّة الوافدين من الشّرق بسبب توتر العلاقات العثمانيّة الجزائريّة، ووضعية خان الجزائر بأزمير السيئة، بعدما كان منبعا مهما لجموع الانكشاريّة القادمة من الشّرق، وأيضا بسبب انتشار الأوبئة الفتاكة في الجزائر أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر ميلادي، وكذا في الرّبع الأوّل من القرن التاسع عشر ميلادي وما خلّفه من خسائر بشرية[134]، لذلك لجأت هذه السّلطة إلى اعتماد جيش تدعيمي نظامي من سكان الايالة، لتعزيز قواتها العسكريّة ونذكرها فيما يأتي:

5-1- الكراغلة:

إنّ أول ظهور للكراغلة في السّاحة العسكريّة كان مع البيلرباي حسن باشا سواء في شخصه، أم في تلك القوة التي دعّم بها جيشه إثر حصار مالطا سنة 1565م، أمّا عن مساهمة الكراغلة عسكريّا في دعم موقف خضر باشا سنة 1595م- 1596م، للتّخلص من الانكشاريّة كان سببا في التّوقف المؤقت لتدعيم الجيش العثماني بقوات من الكراغلة، خاصّة بعدما

أصبحت فئة الكراغلة سببا يهدّد وجود العثمانيين بالجزائر، وذلك بسبب ثوراتهم العديدة كثورة 1629م وثورة 1633م، وبالرغم من هذا فبمجيء الأغا شعبان 1661م-1665م، إلى الحكم سمح للكراغلة بالانخراط في الاوجاق، ودعَّم صفوف جيشه بهم، هذا وقد شهد القرن الثامن عشر انخراط أعداد كبيرة من الكراغلة في صفوف الجيش لأسباب سالفة الذّكر، بالإضافة إلى ما قدَّمه قانون عهد الأمان للكراغلة من صلاحيات، بحيث جعلهم في المرتبة نفسها لمرتبة آبائهم، إذ إنّه ورد في أحد بنوده ما يلي: "ليكن في علم إخوتنا الانكشاريّة وأبنائنا الكراغلة أنّ الغالبية منهم سيظلون في الخدمة إلى سن الأربعين، أو الخمسين أو السّتين أي التّقاعد..."، فبعد هذا أصبح الجيش يدعِّم قواته بجنود من الكراغلة سواء في المدن أم الأرياف[135].

وبهذا أضحى الكراغلة في القرن الثامن عشر يُكَوّنون مع العناصر العثمانية جيشا تعداده مائة ألف رجل، وهذا الجيش كان يُقسَّم كلّ سنة إلى: ثلاثة أقسام تستخدم في مختلف الأوقات، لإخضاع السّكان، واستمر تَبوُؤ الكراغلة للخدمة العسكريّة في صفوف الجيش طوال القرن التاسع عشر[136]، فمن هذا يتّضح الدّور التّدعيمي للكراغلة في تثبيت الحكم العثماني بالجزائر.

2-5 - فرق الزّواوة:

يتّضح من خلال المصادر التّاريخيّة، أنّ تنظيم وتوزيع فرق الزّواوة ضمن العسكر في الجيش الجزائري على فترة العثمانيين تمّ أول مرة على يدي حسن باشا بن خير الدين الغازي في عهدته الثالثة، فمن رغبته الشّديدة في جمع قوى جديدة منظّمة منقادة إلى جانب جيش العثمانيين، جنّد حسب مخططه الجديد عشرة ألاف من رجال الزّواوة الأشداء، وقد كان شديد الميل إليهم معترفا بصدق إيمانهم وشدّة شكيمتهم[137]، فعهد إليهم أمر المحافظة على أمن المدينة أثناء غيابه بحجة أنّه سيذهب إلى غزوة طويلة المدى، وفي الحقيقة فقد اتّخذ هذا الإجراء تحسبا لقيام الانكشاريّة بثورة ضدّه[138]، فقد سعى حسن باشا إلى إقامة تشكيلات عسكريّة بريّة وبحريّة تكون مستعدة للحرب بصورة دائمة ومستمرة، لأنّه لاحظ أنّ الخلل والفوضى بدأت تتسرّب إلى صفوف الانكشاريّة، وهي بذلك غدت عبئًا على النّظام ولا تساعد على إدارة البلاد بشكل سليم[139]، ومن هذا يمكن اعتبار إنشاء هذه الفرقة كان على عهد حسن باشا بن خير الدين.

وتجدر الإشارة إلى أنّ فرقة الزّواوة قد حقّقت بعض أهداف حسن باشا في إخضاع وبسط الأمن في المدن بمراقبة سكان هذه المدن وحراستها، فقد ورد في قانون الأسواق أنّه على عهد الدّاي شعبان خوجة وضع قانونا خاصا بتنظيم الحراسة اللّيلية بمدينة الجزائر سنة 1104ه/1692م، فكان ذلك بتعيين وتحديد عدد الرّجال القائمين بها، وهم ستون رجلا، وكان من ضمنهم عشرة رجال من الزّواوة، واستمر هذا النّظام من بعده على عهد الدّاي بابا أحمد[140]، فمن خلال هذا يتجلى الدّور العسكري الذي لعبته فرقة الزّواوة في تطبيق قوانين حكومة العثمانيين بالمدن.

هذا وقد ساهمت فرقة الزّواوة في مساندة حكم العثمانيين بدار السّلطان ومدينة الجزائر، تحت أوامر قائد يدعى القلباشي، والجدير بالذكر، أنّه قد كان لهذه الفرقة عدّة مواقف عسكريّة بهذه المدينة فكثيرا ما كان يلجأ الحكام العثمانيون إلى دعم هذه الفرقة، ولنضرب مثلا بالباشا علي خوجة الذي استعان بهذه الفرقة العسكريّة لضرب ثورة الانكشاريّة سنة1817م، فجنّد من الزّواوة جيشا أهليا ضمّ إليهم الكراغلة، وهنا بدأ التّحالف مع هذا العنصر في المدن والأرياف، فمنذ ذلك الحين دخل هذا العنصر، وأصبح ضمن جيش العثمانيين[141]، وخلق علاقة تحالف مع الأهالي.

وفي إطار الإستراتيجية العسكريّة نفسها، والمتمثلة في الاستعانة بقوة العناصر المحلية لتدعيم الجيش النّظاميّ، اعتمد العثمانيون على الزّواوة ودعّموا بهم حامياتهم العسكريّة عبر كلّ الايالة، كما هو الحال في تلمسان، ومستغانم، وبسكرة، وقسنطينة، وأماكن أخرى[142]، وعلاوة على هذا فقد كانت فرق الزّواوة تساند الجيش العثماني في كل خرجاته وحملاته سواء في بايلك الشرق أم الغرب أم التيطري، كما كانت من ضمن المحلات العسكريّة، وقد كانت هذه الفرق أيضا تصدّ عسكريّا كلّ خطر يهدّد الجيش وحكومة العثمانيين[143]، وبالإضافة إلى هذا فقد كانت تموّل هذا الجيش –العثمانيّ- بالذّخيرة الحربيّة كمسحوق الرّصاص، والرّصاص والقنابل وغيره، لكنّ الأمر الذي يجب الإشارة إليه هو أنّ الجندي الزّواوي كان يتقاضى لمشاركته في الحملة العسكرية زيانيا واحدا، بينما الجندي العثماني فقد كان يتقاضى الضّعف أي زيانيين[144]، وهذه النّقطة الأخيرة يمكن أن تُقدِّم عدّة معطيات لعلّ من أبرزها أنّ العثمانيين رغم أنّهم قد استعانوا بقوة الزّواوة لتدعيم قواهم، وبلغة أدقّ لتدعيم وجودهم بالجزائر إلا أنّهم أبقوا هذا العنصر أقلّ منهم مكانة نظرا لكون الجنديِّ العثمانيِّ يتقاضى ضعف أجر الجنديّ الزّواوي.

وما يؤكد أكثر هذا التّفسير، هو أنّه بالرغم أنّ فرق الزّواوة كانت عمدة العثمانيين، وعدتهم إلى جانب العثمانيين الذين لم يكن عددهم يجاوز الثلاثة ألاف رجل[145]، إلا أنّهم لم يكونوا يسجَّلون في الدفتر نفسه الذي يسجَّل فيه الجنود العثمانيون، حتى حوالي سنة 1828م على عهد أخر حكام الجزائر في الفترة العثمانية وهو حسين داي، الذي عيّن أربعة رجال من أغوات العثمانيين الذين بدورهم جعلوا أربعة كتاب من شواش، وأمرهم بكتابة أولاد الزواوة في دفتر العسكر العثماني، وكتب منهم نحو الألفين جنديا بالرغم من عدم رضى الكتاب العثمانيين بهذه المساواة[146]، ويمكن تفسير هذا بتخوف العثمانيين من تزايد قوة فرق الزّواوة في الجيش النظامي، والتي إن تساوت معهم ستستأثر بالحكم وتهدد استمرار الحكم العثماني بالجزائر، وما يهمنا فيما سبق أن السلطة العثمانية قد استعانت عسكريا بفرق الزّواوة لتثبيت حكمها بالجزائر.

3-5 - عناصر محليّة أخرى:

من خلال الأمر السّلطاني المؤرخ سنة 1239ه/1823م وجدنا أنّه قد كان ضمن الجيش الجزائري عناصر محليّة وهم القبائل والعربان[147]، فيبدو أنّ القبائل هم الزواوة، غير أنّ

الأعراب فيمكن أن يُقصد بهم المخزن، غير أنّ المخزن ليس بجند نظاميٍ، بل يبدو لي أنّه كان من ضمن الجيش عناصر محليّة أخرى.

وفعلا أشارت الوثائق الأرشيفيّة للرصيد العثماني بطريقة دقيقة إلى موطن هؤلاء المجندين المحليين في صفوف الجيش، إلا أنّ عددهم كان قليلا جدا مقارنة بعدد الجند الإجمالي، وهذا الجدول يبيّن نماذج أسماء هؤلاء الجنود المحليين[148].

اسم المنخرط في الجيش وموطنه الأصلي.	السنة
مصطفى أغا التلمساني	1072ه/1662م
الحاج إبراهيم بلكباشي القسنطيني	1147ه/1735.
حسن الانجشاري بن جعفر المستغانمي	1160ه/1748م
لخضر الانكشاري المليانى نسبا	1171ه/1759م
حسن الانجشاري بن بالي القليعي	1185ه/1773م
خليل الانكشاري العنابي البلكباشي	1192ه/1780م
محمد بلكباشي اللمداني بن حسن	1196ه/1784م
عثمان الانكشاري البليدي	1202ه/1790م
حسين الانكشاري بن حسن البجائي	1212ه/1800م

إنّ ما ورد في الجدول أعلاه يقدِّم لنا بعض الملاحظات وهي:

- أنّ هؤلاء المجندين كانت مواطنهم الأصليّة من البايليك الثّلاثة إذ نجد التلمساني، والقسنطيني واللمداني والقلعي، ولم تخصص جهة عن جهة كفرق الزّواوة التي كانت تختار فقط من سكان الزّواوة.
- أنّ هذه العناصر سُمِح لها في وقت مبكر الانخراط في العسكر، ووصولها إلى أعلى الرّتب رغم الإجراءات التّهميشيّة التي تكلمنا عنها في دراستنا السابقة.

وما يمكن إضافته كاستنتاج لهذه المعطيات، أنّ سياسة العثمانيين في تجنيدها لهذه العناصر المحليّة في الجيش لم يكن عبثا وهباء، فبفضل هذه الفئة الصّغيرة العالمة بدواخل المدن والأرياف،كان يَسهُل على الجهاز العسكريِ إنجاح مهامه الإخضاعيّة والإلحاقيّة لكلّ سكان المدن وحتى الأرياف، كما لا يمكننا الإغفال عن أنّ هذه الفئة حتى وإن كانت قليلة إلا أنّها دعمت صفوف الجيش.

وممّا تقدم نلاحظ أنّه وبالرغم من تدني مكانة هذه العناصر –الكراغلة فرق الزّواوة والعناصر المحلية- في المؤسسة العسكريّة مقارنة بالعناصر العثمانيّة، إلاّ أنّها تمكّنت من البقاء كعناصر أساسيّة للقيام بأعمال الحراسة وغيرها، وهو ما يؤكد الدّور الأساسيَّ والمتزايد للعناصر الكرغليّة والزّواويّة والمحليّة الأخرى في خدمة السلطة العثمانية بالتوازي مع تقلّص دور الفرق والوحدات العسكريّة العثمانيّة بسبب قلّة المستقدمين من الشّرق.

واستنتاجا لكلّ ما سبق، فقد اضطر الحكام العثمانيون في الفترة الأخيرة من وجودهم في الجزائر إلى فتح المجال للعنصر المحلي، للانخراط في صفوف الجيش، وهذا ما تؤكده وثائق الفترة الأخيرة إذ ورد فيها أسماء للعديد من الجزائريين في قوائم الجنود[149]. ويمكن تفسير أسباب انتشار هذه الظّاهرة أنّ الاهتمام بالعنصر المحلي راجع إلى قلّة المجندين القادمين من المشرق وقلّة العرض لانتشار والطّاعون والأوبئة. فعدد المجندين عرف انخفاضا ملحوظا في العقود الأخيرة.

الخاتمة:

وفي الأخير واستنادا إلى كل ما ورد، نستنتج أن الإستراتيجية العسكرية المباشرة التي اعتمادها العثمانيون لإخضاع السكان المحليين وتثبيت حكمهم في الجزائر لأزيد من ثلاثة قرون ضمن مساحة شاسعة، كانت دعامته الرئيسية هي اعتماد قوة الجيش لتوطيد أركان الحكم، وذلك من خلال أدوات، وتكتيكات ذكية استعملها العسكر، ففي المدن كان الأمر سهلا وواضحا مقارنة بالرّيف، فتلك النّوبات التي استقرت بالمدن ضمن مراكز ثابتة - سواء في الثكنات، أم الحصون أم القصبات، أم القلاع، أم الأبراج، المحمية باسوار- ، والمدعّمة بقوات مجندة محليا، قد كبحت تمرد السّكان وسهّلت حكم العثمانيين عليهم.

بيد أنّ إخضاع الرّيف عسكريّا كان صعبا للغاية لقلة عدد الجنود العثمانية، إذ اعتمدت فيه السّلطة العثمانيّة على أساليب مباشرة كالحملات والمحلات بالإضافة إلى النّوبات، التي سكنت بالمراكز العسكريّة في الثّغور والمواقع الصّعبة. والسؤال المطروح هنا هل هذا كان كافيا؟ أم أنّ السّلطة العثمانيّة قد أوجدت إستراتيجيات عسكرية أخرى غير مباشرة سهلت إخضاع سكان الرّيف الجزائري لحكمها؟ . وهذا ما سندرسه بإذن الله في الجزء الثاني من هذا المقال.

---

[1]- **أوجاق:** أو **الوجق** ocak وجمعها اوجاقات أو وجاقات،كلمة تركية لها عدة معان: فهو كل ما ينفخ و تشعل فيه النار من طين أو قرميد أو حديد أي الموقد , و أطلق كذلك على الجماعة التي يلتقي أفرادها في مكان واحد، ثم أطلق على مجمع أرباب الحرف، كما أطلق كذلك على الصنف من الجند كالسباهية، و فرق من العساكر في الجيش الانكشاري فنستطيع أن نقول أوجاق الانكشارية، أوجاق الغرب فالوجق هو الجندي أو العسكري الانكشاري، هذا واعتبرت كلمة اوجاقات أو أوردي همايون، اصطلاح يقصد به الجيش العثماني الذي قسم إلى سبعة اوجاقات. للمزيد أنظر سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،** مر: د.عبد الرزاق محمد حسن بركات، السلسلة الثالثة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1421 ه/2000م ، ص 42. وأنظر أيضا مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية،** مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1996 م، ص ص 53- 54.

[2]- ج.او، هبنسترايت، **رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145ه-1732م)**، تر، تق، تع:ا.د.ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، دت، ص ص 30، 31.

[3]- حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تق وتعر وتح: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006م، ص83.

[4]- هذا وفي الحقيقة كان للجزائر إضافة إلى وكالة أزمير واسطنبول اثنا عشر وكالة أخرى للتنجيد عبر العالم وهي اوليسون، وقبرص، وطرابلس الشرق، والإسكندرية، ورشيد، وطرابلس الغرب، وتونس، ومرسيليا، وجبل طارق، وطانجة، وكوسوفو، وبلغاريا. للمزيد من المعلومات عن هذه الوكالات انظر جميلة معاشي، **الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد**

العثماني، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، (مرقونة)، إشراف:كمال فيلالي، مهد التاريخ والآثار، جامعة منشوري، قسنطينة 2007-2008م ، ص12.

[5]- خط همايون، علبة 10، الرقم العثماني، 17216، سنة 1239ه، الأرشيف الوطني الجزائري. وانظر أيضا وليام شالر، **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م**، تع، تق :إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982م.، ص52.

[6]- سيمون بيفايفر، **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**،تر، تق، تع، د:أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009م، ص ص 187، 188.

[7]- دلندة الأرقش وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي ميدياكوم، تونس، 2003م، ص46، ص41.

[8]-أحمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**،تح:أحمد توفيق المدني،ش.و.ن.ت،ط02،الجزائر،1980م، ص35.

[9]- الأرقش وآخرون، المرجع السابق ، ص ص39، 41.

[10] - E. Vayssettes, "Premiere période,de 1514 a 1648 commencements de l'occupation de constantine par les turcs," in R.N. M.S.A.P.C, N°11, Constantine, 1867 ,p303.

وانظر أيضا

. Ernest. Mercier**, Histoire de Constantine**, imprime avec le con cours de la société archéologique, j. Marle et f. Biron, imprimeurs-editeurs51, Rue Damrémont,51, Constantine, 1903., p.198.

وكذلك - محمد الصالح العنتري، **فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة**, مر د: يحي بوعزيز، عالم المعرفة لنشر والتوزيع، ط خاصة، الجزائر, 2009م، ص28، 29. أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766- 1791**م، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص45.

[11]- أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ بلد قسنطينة (1791-1870م)**،تح، تع، تق: عبد الله حمادي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر،2011م.، ص138.

[12]- محمد بن يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح، تق: الشيخ المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط01، الجزائر، 2013م.

ص261. وانظر أيضا أغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تح , د: يحي بوعزيز ، دار الغرب الإسلامي، ج 02، ط01، بيروت، 1990م، ص ص 289 ،290.

[13]- أحمد بن هطال التلمساني، **رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تح، وتق محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، ط1، مصر، 1969م، ص ص36 وما بعدها.

[14]- شالر، المصدر السابق، ص116.

[15]- محمد دراج، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربوس1512-1543م**, ط1، الأصالة للنشر والتوزيع, الجزائر, 2012م، ص347.

[16]- نفسه، ص ص 170، 171.

[17] - Mercier, op. Cit., p.272.

[18] -A. Devoulx **, Tacherifat, Recueil de notes historiques sur l administration de l'ancienne régence d'Alger**, impr. Du gouvernement, Alger 1852, p28..

[19] -De paradis, op.cit., p.13.

[20]- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، **رحلة ابن حمادوش الجزائري"لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب والحال"**، تق,تح, تع:أبو القاسم سعد الله, عالم المعرفة , ط خاصة, الجزائر 2011م، ص163.

[21] -De Paradis, op.cit., p.112.

[22]- هبنسترايت، المصدر السابق، ص63.

للمزيد انظر [23] - Mercier, op. Cit., p.273.

وكذلك العنتري، **المصدر السابق**، ص ص 63، 64.
[24]- ابن العطار، المصدر السابق، ص ص116، 117.
[25]- المزاري, المصدر السابق، ص328.
[26]- ابن عثمان خوجة، المصدر السابق ،ص 133.
[27]- الزياني، المصدر السابق، ص ص272- 304. وانظر أيضا المزاري، المصدر السابق, ص ص329 , 330.
[28]- حسان خوجة، **تاريخ بايات وهران**، مخطوط رقم 1634، قسم المخطوطات، م .و .ج، وجه و10.وانظر أيضا المزاري، المصدر السابق، ص ص330- 331. وكذلك مسلم بن عبد القادر الوهراني, **تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر**, تح، تق :رابح بونار, ش .و .ن .ت, الجزائر،, 1974م، ص ص 99، 100. - الزياني، المصدر السابق، ص ص 296- 298.
[29]- مذكرات احمد باي و حمدان خوجة وبوضربة ,تر, تع: محمد العربي الزبيري, الجزائر، 1973م، ص40.

[30]- الزياني ، المصدر السابق، ص ص 304- 306.
[31]- دراج، المرجع السابق، ص ص 256، 257.
[32]- خير الدين بربروس, **مذكرات خير الدين بربروس**, تر: محمد دراج , الأصالة للنشر والتوزيع, ط 01، الجزائر, 2010 م. ، ص114.
[33]- ابن المفتي حسن بن رجب شاوش، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها**، تح, د:فارس كعوان، بيت الحكمة، ط1، العلمة, الجزائر, 2009م، ص40.

[34]- العنتري، المصدر السابق، ص ص30، 31.
[35]- الزهار، المصدر السابق، ص160.
[36]- هبنسترايت، المصدر السابق، ص91.
[37]- شالر، المصدر السابق، ص193- 200. وانظر أيضا الزهار ، المصدر السابق، ص151. بيد أن هذا الأخير يقول أن أصل هؤلاء القبائل من جبل مزاية .
[38]- - نفسه، ص111.
[39]- ابن عثمان خوجة، المصدر السابق ، ص123، 124.
[40]- جمس ولسن ستيفان، **الأسرى الأمريكان في الجزائر1785-1797م**، تر:علي تابليت، دار ثالة، الجزائر، 2008 م ، ص37.

[41]- هبنسترايت، المصدر السابق، ص59، و66، 67.
[42]- علي خلاصي، **قصبة مدينة الجزائر**، ج1، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007م، ص ص 27، 28.
[43]- كورين شوفالييه، **الثلاثون سنة الاولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541م**، تر:جمال حمادنة، د.م.ج، الجزائر،2007م.، ص65.
[44]- هبنسترايت، المصدر السابق، ص74.
[45]- الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص ص 130، 131.
[46]- للمزيد انظر ناصر الدين سعيدوني, **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830م**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979م،ص ص 98 و122- 125. وكذلك -هبنسترايت، المصدر السابق، ص ص 32، و51. - ، ارزقي شويتام، **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري و السياسي في الفترة العثمانية 1915-1830 م**، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2010 م، ص 19.

[47]- فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة في عهد صالح باي البايات**، ميديا بلوس، قسنطينة، الجزائر، 2005م، ص ص 97، 98.

[48]- الارقش وآخرون، المرجع السابق، ص ص 132- 140.
[49]- نفسه، ص138.
[50]- نفسه.وانظر أيضا هبنسترايت، المصدر السابق، ص ص 32، 33.
[51] - Devoulx, op. Cit., p.28.
وانظر أيضا هبنسترايت، ص ص32، 33 و53.
[52]- نفسه.

[53]- ستيفان، المصدر السابق، ص ص 175، 176.
[54] - F.D. HAËDO," topographie et histoire générale d'Alger ",tr , de espagnol par A. Berbrugger et Monnereau, in **R A** ,N° 14, Alger,1870, pp500, 501.
وانظر أيضا هبنسترايت، المصدر السابق، ص69، 70.
[55]- ابن المفتي، المصدر السابق، ص52.
[56]- هبنسترايت، المصدر السابق، ص 69، 70.
[57]- الزهار، المصدر السابق، ص28.
[58]- ابن المفتي، المصدر السابق، ص ص48، 49. وانظر أيضا أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وأراء تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، ج1، ط 3، بيروت، لبنان، 1990م، ص ص 170، 171.
[59]- محمد الصالح العنتري، **مجاعات قسنطينة**، تح، تق: رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974م، ص ص31، 32.

[60]- الزهار، المصدر السابق، 86، 87.
[61]- عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تق تح تع: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط01، لبنان ، 1987م، ص 83.
[62]- الزهار، المصدر السابق، ص ص 35، 36 .
[63] - Devoulx, , op. Cit., p.51.
[64]- الخطيب، المعجم السابق، ص426.
[65]- ابن المفتي، المصدر السابق، ص65.وانظر أيضا هبنسترايت، المصدر السابق، ص30.
[66]- العنتري، **تاريخ**...، ص27.
[67]- ابن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص93.
[68]- نفسه، ص38.
[69]- شالر، المصدر السابق، ص77.
[70]- **السفرات:** مفردها سفرة أو الصفرة: وتعني المائدة التي يجتمع حولها الانكشارية للأكل أو مناقشة أمور الدولة، وتطلق أيضا على الكتيبة التي تتكون عادة من 16 إلى 21 مجند.انظر ، معاشي، المرجع السابق ، ص8.

[71] -Devoulx, , op. Cit., p.50.
[72] -J.M. Venture. DE Paradis, **Alger au XVIIIe siècle**, edité par E.fagnan, impr libraire ,Ed Alger,1898, p 69.
[73] - E .Vayssette, "Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 a1837", in **R.N.** M.S.A.P.C, N°11, Constantine,1867 , p.269.
[74] -Devoulx, , op. Cit., pp47- 50.
وانظر أيضا الحسين بن محمد الورثلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المعروفة بالرحلة الورثلانية**، مكتبة الثقافة الدينية، مجلد02 ، ط1، القاهرة، 2008م، ص 792.
[75]- أعددنا هذا بالاعتماد على: العنتري، **تاريخ**...، ص28. وانظر أيضا - عائشة غطاس، **الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية**، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار، رويبة، الجزائر، 2007م ص 26، و176. وكذلك ستيفان، المصدر السابق، ص ص 141، 142. - ابن المفتي، المصدر السابق، ص48.
[76]- أعددنا هذا بالاعتماد على: ابن المفتي، المصدر السابق، ص208. وانظر أيضا هبنسترايت، المصدر السابق، ص61، وكذلك ابن عبد القادر الوهراني، المصدر السابق، ص111. - محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح , تق د: محمد بن عبد الكريم ، ش.و.ن.ت ،ط02، الجزائر، 1981 م ، ص37.
-De Paradis, op.cit., p64..
[77] -H. Federmann et Baron Aucapitaine, "Notices sur l'histoire et l'administration du beylik de titeri" , in **R.A** ،N°9 ،Alger , 1865.pp281.
[78]- ابن ميمون، المصدر السابق، ص37.
[79]- ابن عثمان، المصدر السابق ، ص ص101، 102.
[80]- الورثلاني، المصدر السابق، ص792.
[81]- سلسلة البايليك، علبة 26، سجل190، الأرشيف الوطني الجزائري.
[82]- سلسلة بيت المال، علبة 04، سجل 10،11، الأرشيف الوطني الجزائري.

[83]- رغم أننا في بعض المصادر وجدنا انه قد وردت تسمية بعض هذه المراكز بالثكنات فخير الدين بربروس في مذكراته تكلم عن ثكنات بجيجل وأخرى بتنس والعنتري تكلم عن ثكنات بمدينة قسنطينة وستيفان تكلم عن ثكنات بتلمسان وغيرها. للمزيد انظر بربروس، المصدر السابق ص 120. وانظر أيضا العنتري، **تاريخ ...**، ص76 . وكذلك ستيفان، المصدر السابق، ص207.

[84]- شويتام، المرجع السابق، ص27.

[85] -DE Paradis, op .cit., pp. 83,84.

[86] -A. Berbrugger, "Les casernes de janissaires a Alger", in **R.A** ،N°03, Alger, 1858, pp135,136.

[87]- شويتام، المرجع السابق، ص ص 27- 29.

[88]- ابن المفتي، المصدر السابق، ص61.

[89]- هبنسترايت، المصدر السابق، ص31. وانظر أيضا

- A . DEVOULX, "Les casernes de janissaires a Alger (2)", in **R.A**, N°03, Alger, 1858, pp.139-147.

[90]- ابن المفتي، المصدر السابق، ص61.

[91]- **الحصون والقلاع والأبراج**: الحصن هو مبنى عسكري مصمم لمقاومة أي هجوم يتكون من منطقة محاطة بجدار منيع ويتواجد به الجنود أما القلعة فهي مسكن ضخم محصن بجدار سميك ويحمى بداخله سكانه أي –الناس أو الجنود-، أما البرج فهو البيت الذي يبنى على سور المدينة أو سور الحصن أو سور القلعة وهو أيضا عبارة عن بناء مرتفع على شكل مستدير أو مربع ويكون مستقلا أو قسما من بناء عظيم فالبرج عبارة عن محرس يكون بسور المدينة وغالبا ما يكون قرب احد أبواب تلك العمارات الرئيسية.

[92]- جمعناها اعتمادا على:الزهار، المصدر السابق، ص ص158و132. وانظر أيضا توفيق المدني، **محمد عثمان ....**، ص47. وكذلك عبد الله بن محمد الشويهد ، **قانون اسواق مدينة الجزائر 1107-1117ه/695-1705م**، تح، وتق، وتع، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 2006م، ص73.-ستيفان، المصدر السابق، ص 219.-شالر، المصدر السابق، ص 76.

-DE Paradis, op, cit., P.101

[93]- للمزيد عن هذه الحصون انظر: كاثكارت، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، تر: عن الانكليزية :اسماعيل العربي، د. م .ج، الجزائر، 1982م، ص ص84- 88. وانظر أيضا هبنسترايت، المصدر السابق، ص28 . وكذلك ستيفان، المصدر السابق، ص306 .

[94]- بيفايفر، المصدر السابق، ص21.

[95]- ستيفان، المصدر السابق، ص220.

[96] -F.D. Haëdo, **Histoire des rois d'Alger**, tr: an par H.D.De Grammont, Adolphe Jourdan, libraire. Ed, Alger, 1881..., p94.

وانظر أيضا -سلسلة بيت المال علبة 04، سجل 10. الأرشيف الوطني الجزائري. .وكذلك- هبنسترايت، المصدر السابق، ص28.

[97]- دراج، المرجع السابق، ص263.

[98]- ابن المفتي، المصدر السابق، ص ص41 و46، 47.

[99]- الزهار، المصدر السابق، ص82.

[100]- هو نفسه برج الزوبية انظر غطاس، المرجع السابق، ص73.

[101]- الزهار، المصدر السابق، ، ص24 و142و158.

[102]- هبنسترايت، المصدر السابق، ص 36.

[103]- سلسلة البايليك، علبة 26، سجل 190، الأرشيف الوطني الجزائري.

[104]- الزهار، المصدر السابق، ص124.

[105]- كاثركات، المصدر السابق، ص74.

[106]- شوفالييه، المرجع السابق، ص42.

[107]- شوفالييه، المرجع السابق، ص63.

[108]- هبنسترايت، المصدر السابق، ص ص60- 69.

[109]- ابن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص74.

[110]- ستيفان، المصدر السابق، ص 202.

[111]- عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية 1661-1663م**، تح وتق: د.سعيد الفاضلي ود.سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، المجلد الثاني، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2006م، ص540

[112]- ابن العطار، المصدر السابق، ص51.

[113]- عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: د. محمود علي عامر، دار النهضة العربية، ط01، بيروت، لبنان، 1989 م، ص168.

[114]- دراج، المرجع السابق، ص ص267، 268.

[115]- ستيفان، المصدر السابق، ص ص 207، 208.

[116]- ابن المفتي، المصدر السابق، ص40.

[117]- ابن العطار، المصدر السابق، ص ص110و122-126.

[118]- ستيفان، المصدر السابق، ص ص203- 205.

[119]- المدني، **محمد عثمان**...، ص50.

[120]- هبنسترايت، المصدر السابق، ص60. وانظر أيضا

- N. Robin, "Note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande kabylie ", in**R.A**. N°17, Alger, 1873, p134.

[121]- الزهار المصدر السابق، ص35.

[122]- ابن عبد القادر الوهراني، المصدر السابق، ص24.

[123]- الزياني، المصدر السابق،ص 258.

[124]- المزاري، المصدر السابق، ص276.

[125]- الزياني، المصدر السابق،ص ص 208 و216.

[126]- دراج، المرجع السابق، ص391.

[127]- ستيفان، المصدر السابق، ص213.

[128]- شويهد، المصدر السابق، ص145.

[129]- العنتري، **تاريخ**...، ص 64.

[130]- هبنسترايت، المصدر السابق، ص ص60 و68، 69.

[131]- ابن هطال، المصدر السابق، ص28.وانظر أيضا المدني، **محمد عثمان**...، ص167.

[132]- محمد بن الأمير عبد القادر، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر "سيرته السيفية"**، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش،ج1، الإسكندرية، مصر، 1903م ، ص74.

[133]- مذكرات احمد باي، المصدر السابق، ص60.

[134]- حبيبة عليليش، **الكراغلة في المجتمع الجزائري العثماني قرن 10-13ه/16-19م**، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2017م، ص ص 35، 36.

[135] - A. DEVOULX, " Ahad Aman règlement politique et militaire", in **R.A**, N° 4, Alger, 1860, p 211.

- وانظر أيضا عليليش، **الكراغلة...**،ص ص 29- 40.

[136]- هبنسترايت، المصدر السابق، ص ص29، 30. وانظر أيضا شالر، المصدر السابق، ص56.

[137]- احمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792 م**، عالم المعرفة، المجلد 5، الجزائر ، 2010 م، ص 355.

[138]- التر، المرجع السابق، ص 211، 212.

[139] -Mercier, OP.CIT., P.201.

[140]- الشويهد، المصدر السابق، ص ص 72- 73.

[141]- أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**(بداية الاحتلال)، م.و.ن.ت، ط03، الجزائر، 1982م،ص ص50،49، و55.

[142] -Haëdo," Topographie et histoir... ", 1870, p493.

[143]- ما يثير الانتباه هو أنّ فرق الزواوة مثلما عزّزت قوات العثمانيين داخل الايالة الجزائرية، مثلما عزّزتها في الايالة التّونسية، إذ كانت في هذه الأخيرة فرق منها اعتمدت عليها حكومة تونس العثمانية هي الأخرى، حتى تدعّم قواتها في هذه الايالة، وما يجب الإشارة إليه هو أنّ هذه الفرق قد وصلت إلى جيش تونس عقب حملة عثماني الجزائر بزعامة علي باشا في أكتوبر 1569م على

تونس، وفي ذلك الوقت بقي الكثير من أفراد هذه الفرقة هناك، وفيما بعد استغلها حمودة باشا المرادي حاكم تونس باتخاذ فرسانها كحرس خاص له، وتواصل الاعتماد على جند زواوة بعد ذلك لنجاعتهم وتفوقهم من نواحي كثيرة على الجند العثماني، لا سيّما في طاعة السّلطة المركزيّة. للمزيد انظر الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص 153.

[144] -Devoulx**, Tacherifat**..., p.46. وانظر أيضا- Vayssite ," histoire de consta...", p.270.

[145]- الزهار،المصدر السابق، ص187.

[146] -Devoulx**, Tacherifat...,** p 48**.**

[147]- خط همايون، علبة 10، وثيقة07، الرقم العثماني 22554، التاريخ 1239ه/ م، الأرشيف الوطني الجزائري.

[148]- فهيمة عمريروي، **الجيش الانكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12ه/ 18مدراسة اجتماعية –اقتصادية من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث (مرقونة)، إشراف عائشة غطاس، معهد التاريخ، جامعة الجزائر2008،02 /2009م، ص ص 58، 59.

[149] -Devoulx**, Tacherifat...,** p 48**.**